

سیغموند فروید

# ایلیس ایف تحلیل نفسی

ترجمہ  
جورج طرابیشی

**جميع الحقوق محفوظة  
لدار الطليعة للطباعة والنشر**

بيروت - لبنان

ص.ب ١١١٨١٣

تلفون ٣١٤٦٥٩

٣٠٩٤٧.

**الطبعة الاولى**

شباط (فبراير) ١٩٨٠

**الطبعة الثانية**

شباط (فبراير) ١٩٨٢

سيغموند فرويد

إبليس  
في التحليل النفسي

ترجمة:

جوز طرابيشي

دار الطليعة للطباعة والنشر  
بيروت

هذه ترجمة كتاب

**Une Névrose Démoniaque  
Au XVIIe Siècle  
Et Autres Essais**

**Par Sigmund Freud**

**In**

**Essais De Psychanalyse  
Appliquée**

**Idées - Gallimard  
Paris 1976**

## عصاب شيطاني من القرن السابع عشر<sup>(١)</sup>

راينا ، في دراستنا لاعصبة (٢) الطفولة ، اننا نستطيع ان نكتشف فيها بالعين المجردة الكثير من الاشياء التي لو مر الزمن عليها لبت اكتشافها بحاجة الى طول تحرر وتقص . وبوسعنا ان نتوقع الوصول الى ملاحظة معادلة بصدد الامراض العصبية في القرون الماضية ، بشرط ان يتوفر لدينا الاستعداد لتعرفها تحت

- 
- ١ - ظهر هذا المقال لأول مرة في مجلة ايمانفو . م . ٩ ، ١٩٢٣ . الكراسة ١ :  
"علم النفس الديني" .
- ٢ - الامعة جمع عصاب Névrose : اضطراب وظيفي ، نفسي المنشأ، في الجهاز العصبي، وهو في التحليل النفسي ظاهرة صراعية فيها معارضة لدافع غريزي اساسي . -م-

اسماء مغايرة لاعصبتنا الراهنة . ولا تأخذنا الدهشة اذا ما وجدنا اعصبة تلك الازمنة النائية تنلبس مظهرا يدخل ضمن نطاق علم الابليسيات ، بينما اعصبة عصرنا الحاضر ، الذي لا يزال يخطو خطواته الاولى في مضمار علم النفس ، تتبدى . وقد تنكرت في إهدب امراض عضوية . اقرب في المظهر الى الهجاس السوداوي Hypochondrie . وقد اكتشف عدد من الباحثين كما هو معلوم . وعلى رأسهم شاركو (٢) . تظاهرات الهستيريا في تمثيلات المس الشيطاني والانجذاب (٤) التي أورنا اياها في الفن ؛ والحق انه ما كان ليعبر اكتشاف مضمون العصاب نسي تاريخ هذه الامراض فيما لو وجد عصرنا من يعيرها المزيد من الانتباه .

لقد كانت النظرية الابليسية الشائعة في تلك الازمنة المظلمة اقرب الى الصحة والصواب من جميع التاويلات انبثنية التي رأت انور في حقبة الرياضيات التي سميت بـ « العنوم انديمية » . فزروب المس تناظر اعصبتنا التي عمدنا الى تفسيرها بالاستعانة من جديد بالقوى النفسية . فالابالسة في نظرنا . نحن ؛ رغبات شريرة ، مستهجنة . تنبع من دوافع مكبوحة . مكبوتة . وكل ما هنالك اننا نتحاشى اسقاط هذه الخلائق النفسية في العالم الخارجي على نحو ما كن يفعل العصر الوسيط ؛ بل ندعينا تولد في حياة المرضى الداخلية حيث مكان اقامتها .

---

٣ - جان مارتن شاركو : طبيب فرنسي ١٨٢٥ - ١٨٩٣ ، مهبور بابحاثه في الامراض العصبية ، درس عليه فرويد لفترة وجيزة من الزمن . -  
 ٤ - الانجذاب Extase : مرض عصبي يتميز بالسطح العقلي وثبات البصر وجمود الجسم وفقدان الحساسية . -

## قصة الرسام كروستوف هايتز من

انني ادين لمبادرة حميدة من جاب الدكتور ر. باير - ثورن Payer - Thurn ، المستشار في المحكمة العليا ومدير المكتبة الامبراطورية والملكية سابقا للاستثمارات بفيينا . بما اتاحه لي من فرصة للاطلاع على قصة عصاب من تلك الاعصبة الابليسية في القرن السابع عشر . فقد اكتشف باير - ثورن في المكتبة المذكورة مخطوطة آتية من مزار ماريازل (٥) . وتورد بالتفصيل قصة الخلاص العجائبي ، بنعمة القديسة مريم العذراء . من حلف معقود مع الشيطان . وقد ايقظت اهتمامه بها علاقة هذا الموضوع بأسطورة فاورست ، مما حثه على التبحر في دراسة هذا الموضوع وتوضيحه . لكنه حين اكتشف ان الشخص الذي نصف المخطوطة خلاسه كان يشكو من نوبات تشنجية ومن رؤى ، توجه السي ليحصل على رأي طبي في المسألة . وقد اتفقتنا على ان ينشر كني واحد منا بحثه على حدة وبصورة مستقلة . واني لأعرب له عن شكري لايجاله لي بفكرة هذا البحث . وللمساعدة انني قدمنا لي مرارا في دراسة المخطوطة .

ان قصة هذا المرض الابليسية نقدم لنا بالفعل كثيرا مما يندب عن وجوده بملء الشفافية ، دونما حاجة الى التمعن في اسويل . مثلما يندب عرق المنجم المكتوف الى المعدن انصرف الخالص الذي لا سبيل الى استخلاص نظيره الا بشق الانفس من الفلز الخليط الذي يتطلب صبورا .

تنقسم المخطوطة ، التي امامي منها نسخة طبق الاصل ، الى قسمين مختلفين تماما : رواية إخبارية محررة باللاتينية بقلم الكاتب او الناسخ الراهب ، وجزء من يوميات المريض مكتوب بالالمانية . ويشتمل القسم الاول على مقدمة وعلى قصة الشفاء العجائبي ؛ اما القسم الثاني فان لم يكن قد حظي باهمية بالنسبة الى رجال الكنيسة ، فان ذلك لا يزيده الا نفاسة بالنسبة الينا نحن . فإسهامه كبير في تعزيز حكمنا الذي لا يزال يتم بالتردد بصدد هذه الحالة المرضية ، ومن حق اولئك الرهبان علينا ان نشكرهم على حفظهم تلك الوثيقة ، مع انه ما كان من الممكن ان تخدم مآربهم ، هذا ان لم نقل انها تناقضها .

قبل المضي قدما الى الامام في دراسة الكراسية الصغيرة المخطوطة والمعنونة باسم Trophaeum Mariano - Cellense ؛ يجدر بي ان انقل للقراء شطرا من مضمونها اقتبسه من المقدمة .

في ٥ ايلول ١٦٧٧ اقتيد الرسام البافاري كرسstof هايتزمن ، وهو يحمل رسالة توصية من خوري بلدة بوتنبرون (جنوب النمسا) ، الى ماريازل ، القريبة منها (٦) . وكان قد اقام عدة اشهر في بوتنبرون ، يزاول فيها فنه ، وفيها أصابته في ٢٩ آب ، وهو في داخل الكنيسة ، تشنجات رهيبية ؛ ولما تجددت هذه التشنجات في الايام التالية فحصه ال Praefectus Dominici Pottenbrunnensis (٧) ، وسأله عما يعذبه وان كان

---

٦ - لم ترد اية اشارة في اي موضع الى عمر الرسام . ووسعنا الافتراض ، بحسب السياق ، انه كان رجلا بين الثلاثين والاربعين من العمر . وفي ارجع العثر اقرب الى الحد الأدنى . وقد توفي ، كما سنرى ، سنة ١٧٠٠ .

٧ - باللاتينية في النص : الوكيل الرباني او المدير الرسولي للبلدة



تورط في علاقة محرمة مع ابليس (٨) . وللحال اعترف بأنه كان قبل تسع سنوات ، في زمن وهنت فيه مقدرته الفنية وخاف ان تضيق به سبل العيش ، قد استسلم لإغراء الشيطان - الذي كان قد سمى تسع مرات الى ايقاعه في التجربة - وتعهد له خطيا بأن يسلس له قياد جسمه وروحه لدى انقضاء الميقات . وكان أجل ذلك قد اقترب : الرابع والعشرون من الشهر الجاري آنذ (٩) .

وعض الشقي اصابع الندم وداخله الاعتقاد بأن نعمة والدة الله .

عذراء ماريازل ، هي وحدها التي تستطيع انقاذه بإرغامها ابليس على ان يعيد اليه العهد الذي خطه بدمه . ولهذا اباح كاتب التوصية لنفسه ان يوجه رسالته الى رهبان ماريازل من الآباء الصالحين ليشمولوا بعطفهم وحسن التفاتهم «هذا الرجل البائس الذي ليس له من معين» (١٠) .

ذلك ما كتبه خوري بوتنبرون ، ليوبولدوس براون ، فسي الاول من ايلول ١٦٧٧ .

وبوسعي الان ان أتابع تحليل المخطوطة . وهي تتألف منس الاقسام الثلاثة التالية :

١ - من عنوان ملون يمثل مشهد عقد العهد ومشهد الخلاص في مزار ماريازل ؛ وعلى الصفحة التالية توجد ثمانية رسوم ، ملونة ايضا ، لظهورات لاحقة للشيطان مع نبذات مقتضبة باللغة

---

٨ - نوره هنا على عجل باحتمال ان تكون هذه الاسئلة قد «اوحى» للمريض بمكرة توجه حفه مع الشيطان .

9 — Quorum Et Finis 24 Mensis Hujus Futurus  
Appropinquat

١٠ - باللاتينية في النص : Miserum Hunc Hominem Omni  
Auxilio Destitutum.

الالمانية . وما هذه الصور بأصلية ، وانما نسخ - نسخ امينة على نحو ما هو معلن رسميا - عن الرسوم الاصلية بريشة كر . هايتزمن .

٢- من المتن الذي يضم التذكار Trophaeum ويسروى باللاتينية قصة الخلاص العجائبي . وهو من وضع ناسخ مترهب يوقع نهاية الرواية بـ P.A.F. ، ويضيف الى هذه الاحرف اربعة ابيات من الشعر يضمنها سيرة حياته . وتتالف الخاتمة من شهادة من الاب كيليان رئيس دير سان - لامير . بتاريخ ١٢ ايلول ١٧٢٩ ، يؤكد فيها ، بخط مختلف عن خط الناسخ . دقة التوافق بين المخطوطة والصور وبين النسخة الاصلية المحفوظة في الارشيف . ولا يرد ذكر للسنة التي انف فيها التذكار . ولنا الخيار بين التسليم بأنه وضع في السنة نفسها التي اعطى فيها الاب كيليان شهادته . اي في سنة ١٧٢٩ ، وبين إرجاع زمن عمل الناسخ الى ما بين ١٧١٤ و١٧٢٩ على اعتبار ان آخر تاريخ يرد ذكره في النص هو ١٧١٤ . اما الاعجوبة التي اريد بذلك الكتاب صونها من النسيان فقد حدثت في سنة ١٦٧٧ . اي قبل فترة تتراوح ما بين ٢٧ و٥٢ سنة .

٣ - من يوميات الرسام المحررة بالالمانية ، والتي تمتد من لحظة تحرره في المزار الى ١٣ كانون الثاني من السنة التالية (١٦٧٨) . وقد ادرجت في نص التذكار قبيل خاتمته بقليل .

تتالف مادة التذكار بحصر المعنى من رسالة التوصية الآتية الذكر بقلم ليوبولد براون - خوري بوتنبرون ، بتاريخ ١ ايلول ١٦٧٧ ، ومن رواية الاب فرانسيسكوس رئيس دير ماريسازل وسان - لامير ، التي يسرد فيها قصة الشفاء العجائبي . بتاريخ ١٢ ايلول ١٦٧٧ ، اي بعد الرسالة الاولى بيضعة ايام . وقد كتب المحرر او الناسخ P.A.E. مدخلا دمج فيه بنوع ما الوثيقتين كليهما ؛ ثم اضاف اليه بعض فقرات للربط غير ذات اهمية ، وفي الخاتمة رواية لمغامرات الرسام اللاحقة . استنادا

الى معلومات جمعت سنة ١٧١٤ (١١) .  
هكذا تكون وقائع حياة الرسام قد رويت ثلاث مرات فسي

### التذكارات .

- ١ - في رسالة التقديم بقلم خوري بوتنبرون .
- ٢ - في التقرير الرسمي للاب فرانسيسكوس .
- ٣ - في مدخل المنشيء .

ومن مقارنة هذه المصادر الثلاثة تبرز بعض الاختلافات التي  
لن يكون من غير المجدي تحريها وتبعها .

استطيع الان ان اتابع قصة الرسام . فبعد طول توبة وتكفير  
وصلاة في ماريازل . بتاريخ ٨ ايلول . وهو عيد ميلاد العذراء .  
وعند منتصف الليل ، استرد من الشيطان . الذي ظهر في المزار  
المقدس في صورة تنين مجنح ؛ العهد المحرر بالدم . وسوف نعلم  
لاحقا . على دهشة عظيمة منا . ان قصة الرسام كره . هيتزمن  
تشتمل على عهدين مع الشيطان : عهد كتب بالحبر الاسود . وآخر  
حرر بالدم . وفي مشهد التعزيم الأنف المذكور لا يرد ذكر . كما  
يستبان ذلك على كل حال من صورة العنوان . الا للعهد المحرر  
بأحرف من دم ، اي للعهد الاخير في ترتيب التحرير .

هنا يمكن ان يساورنا . بصدد المصادقة انني ينبغي ان تقر  
بها للرواة الورعاء ، شك ينبغيها الى ضرورة عدم تبديد مجيودنا  
في مسألة هي من نتاج اباطيل المعتقدات الرهبانية . فمما ترويه  
المخطوطة ان عددا من رجال الاكليروس . المذكورين بأسمائهم ،  
قدموا مساعدتهم طول الوقت للمعزيم عليه . وانهم كانوا حاضرين  
ايضا عند ظهور الشيطان في المزار . ولو زعمت رواية المخطوطة

---

١١ - يمكن ان نعتبر ذلك بمثابة توكيد ان التذكارات ايضا قد حُسرت

انهم شاهدوا هم ايضا التنين الشيطاني حين ناول الرسام الصك المكتوب بالاحمر (Schedam Sibi Porrigentem Conspexisset) لكننا وجدنا انفسنا امام عدد من الفرضيات غير المنحبة . وقد يكون اقلها إحراجا فرضية هتوسة جماعية . غير ان نص الشهادة التي حررها الاب فرانسيسكوس بالذات يضع حدا لهذا الشك . اذ لم يرد فيها ذكر البتة لكون الرهبان المساعدين قد راوا هم ايضا الشيطان ، بل نصت ببساطة واستقامة على ان الرسام انتزع نفسه على حين بغتة من بين ايدي الرهبان الذين كانوا يمسكون به ليهرع نحو ركن المزار حيث رأى الشبح ثم عاد بعد ذلك والصك بيده (١٢) .

كانت المعجزة كبيرة ، وانتصار وائدة الله القديسة علسى الشيطان لا ريب فيه . لكن الشفاء لم يكن للاسف دائما . ولتؤكد مرة اخرى على نزاهة الرهبان اذ لم يخفوا هذه الواقعة عن الاطوار . فقد غادر الرسام ماريازل بعيد ذلك . وهو في احسن حال ، وقصد فيينا حيث اقام لدى شقيقة له متزوجة . وهناك انتابته ، في ١١ تشرين الاول . نوبات جديدة . واكثرها خطير . وقد اوردت اليوميات خبرها حتى يوم ١٣ كانون الثاني . كانت عبارة عن رؤى . وعن غيبوبات كان المريض يحس اثناءها ويعاين شتى الاشياء ، وعن حالات تشنجية ترافقها احساسات مؤلمة للغاية ، ومرة شلل في الساقين . وهكذا دواليك . لكن ليس الشيطان من كان يعود هذه المرة ، وانما اشخاص قديسون كالمسيح والعدراء القديسة بنفسها . والعجيب في الامر ان

---

12 — ... Ipsumque Daemonem ad Aram Sac. Cellae per fenestrellam in cornu Epistolae Schedam sibi porrigentem conspexisset eo advolans e Religiosorum manibus, qui eum tenebant, ipsam Schedam Ad manum obtinuit...

اوجاعه الناجمة عن هذه الرؤى القدسية وعن العقوبات التي كانت تنزلها به ما كانت تقل عن تلك التي كان يعانيها سابقا تحت وطأة علاقانه بالشیطان . بل انه يضع في يومياته هذه الاحداث الجديدة في باب تجليات الشيطان ، وقد تشكى من تجليات السروح الشرير (١٢) حين عاد في ايار ١٦٧٨ الى ماريازل .

وكانت الذريعة التي تقدم بها الى الرهبان لتعميل عودته انه لا يزال عليه ان يطالب الشيطان بصك عهد آخر كان قد كتبه بالحبر (١٣) . وفي هذه المرة ايضا استجيب التماسه بشفاعته العذراء القدسية والآباء الورعاء . لكن الرواية تلزم الصمت بصدد الكيفية التي حدث بها ذلك . وهي لا تذكر سوى كلمات قلائل :  
**Qua Iuxta Votum Reddita** (١٤) . من جديد صلى ، واستجابة لصلاته اعيد اليه الصك . ولما شعر عندئذ انه قد تحرر تماما ، انتسب الى رهبانية اخوة الرافة .

وينبغي ان نفر من جديد بان الطابع المفرض لعمل الناسخ لم يحمله مع ذلك على الحديدان عن جادة الصدق الذي من حقنا ان نطالب به اي راو لقصة مريض . فهو لا يخفي النتائج التي تمخض عنها تحقيق اجري ، بعد وفاة الرسام ، لدى سلطات دير اخوة الرافة سنة ١٧١٤ . فالاب الموقر رئيس الدير يروي ان الاخ كريزوستوموس (١٥) تعرض عدة مرات اخرى لهجمات ابليس الذي

---

١٢ - باللاتينية في النص : **Maligni Spiritus Manifestationes** .

—

١٤ - هذا الصك ، الذي حرر كما هو مذكور في شهر الجول ١٦٨٨ ، كان بالتالي ، بعد تسعة اشهر ونصف شهر ، اي في ايار ١٦٧٨ . قد تجاوز منذ زمن تاريخ استحقاقه .

١٥ - باللاتينية في النص : «فاعيد اليه حسب طلبه» . —

١٦ - اي قم الذهب . —

كان يريد ان يجره الى عهد عهد جديد . ولكن هذا فقط «عندما كان بفرط قليلا في شرب الخمر» . غير انه امكن على الدوام ، بفضل نعمة الله . رد انشيطان على اعقابيه . وقسد توفى الاخ كريزوستوموس بعد ذلك «بوداعة وملؤه العزاء» بحمى الدق . في العام ١٧٠٠ . في دير الرهبانية . في نوشنات على نهر مولدوفا .

- ٢ -

## علة العهد مع الشيطان

اذا نظرن الى قصة هذا العهد الشيطاني على انها قصة سرخ عصابي . فان مشكلة تحليل العهد - وهي مشكلة ذات صلة وثيقة اصلا بمسئلة سبب المرس - ستكون اول ما يستتر باهتمامنا . فلماذا يهب الانسان نفسه للشيطان لا صحيح ان الدكتور فاوست يسأل بازديراء : «ما بوسعك ان تعطيه . وانت نفسك شيطان مسكين لا» . لكنه لم يكن على حق : فالشيطان يملك ان يعطي . مقابل نفس خالدة . كل صنوف الاشياء التي يشمها بنو البشر عالي التثمين : الثروة . الامان في خضم الخطر . السلطان على الناس وعلى قوى الطبيعة . بل حتى الفنون السحرية . ولكن اولا . وقيل كل شيء . المتعة . التمتع بجميلات النساء (١٧) . فماذا يمكن ان

---

١٧ - انظر في فاوست : الفصل الاول (مشهد المكتب) :

أود الالتزام هنا بخدمتك

وطاقتك بلا كلل ولا ملل ؛

وبوم لتفتي ثانية في المال الآخر

عليك ان تعاصني بالمثل .

تكون ، والحالة هذه . بالنسبة الى كرسstof هاستمن علة عهده ؟  
ليس لاية رغبة من هذه الرغبات الطبيعية تماما . مهما بدا ذلك  
باعثا على العجب . ونلافا لكل حيرة وتردد . حسبنا ان ندقق  
النظر فى التعبيغات المفتضة الي يرفق بها الرسام ظهورات  
اشيطان التي صورها . هاكم . على سبيل المثال . ما جاء فى  
التعليق على الرؤيا الثالثة :

«للمرة الثالثة ظهر لى خلال عم ونصف فى هذا المظبر  
الفلج . وفى يده كتاب ليس فيه الا شعوذة وسحر اسود...» .  
لكننا نعلم من التعليق المرافق لظهور لاحق ان الشيطان قرع  
الرسام بفرىما شديدا لانه «احرق الكتاب الذي كان قد اعلن  
عنه» . ونوعده بن يمزقه اربا اربا اذا لم يستطع تأمينه لسه  
من جديد .

وفى الظهور الرابع برىه صرة نقود صفراء كبيرة وقطعة كبيرة  
من النقد الذهبى . ويعدده بان يبيه منها قدر ما يشاء : «لكنى لم  
اقبل بذلك البتة !» : ومن حق الرسام . بالفعل . ان يتباهى  
بذلك .

وفى مرة اخرى يسأله ان يلهو ويتسلى . ويعلق الرسام على  
ذلك بقوله : «هذا بالفعل ما حدث بناء على طلبه ، لكنى لم استمر  
قط اكثر من ثلاثة ايام . وللحال بعد ذلك عدت الى الاستنكاف» .  
ان يكن اذن قد رفض اشحر والمال والمذات . فما كان له ان  
يجعلها ضمن شروط العقد . وان المرء لتساوره بالفعل الحاجة الى  
معرفة ما كان الرسام ينتظره حقا من الشيطان حين نذر نفسه  
له . وعلى كل ، لا بد ان يكون هناك سبب ما وراء طلب الدخول  
فى اتصال مع الشيطان .

يقدم لنا **التفكار** فى الواقع بصدد هذه النقطة معلومة  
موتوقة . اذ لما استبدت بالرسام السويداء . كان قد امسى  
عاجزا او عازفا عن العمل . وقد ركبتة الهموم بصدد تدبير امر

معاشه ، مما يعني انه كان مصابا بهبوط سوداوي مع كف عن العمل وخشية (لها ما يبررها) على قوت يومه . اذن فالقصة التي بين ايدينا قصة مريض فعلا . ونحن نعلم في الوقت نفسه ما كان سبب هذا المرض الذي سماه الرسام نفسه . وبصريح العبارة ، بالسويداء («لذا كان ينبغي ان اتسلى واطسرد السويداء» ) . والمصدر الاول من مصادرنا الثلاثة ، اي رسالة التوصية بقلم الخوري . لا تأتي الا بذكر حالة الهبوط «dum artis suae progressum emolumentumque secuturum pusillanimitate perperderet» ( ١٨) . لكن المصدر الثاني . اي تقرير الاب فرانسيسكوس ، تمكن من ان يسمي لنا نقطة انطلاق هذا الهبوط او الاكتئاب ، اذ يقول بهذا الصدد : «accepta Aliqua pusillanimitate ex morte parentis» (١٩) . كذلك جاء في مقدمة النسخ بالالفاظ نفسها ولكن مقلوبة : «ex morte parentis accepta aliqua pusillanimitate» . اذن فقد توفي والده ، ولهذا وقع فريسة السويداء ؛ وعندئذ ظهر له الشيطان ، وسأله عن سر اضطرابه وحزنه الشديدين ، ووعده بأن «يساعده بكل الوسائل ويسعفه» (٢٠) .

نحن اذن امام شخص يبيع نفسه للشيطان بغية الخلاص من اكتئاب نفسي . وهذه في الحق ذريعة ممتازة ! وهي مفهومة تماما بالنسبة الى اي شخص يقدر على وضع نفسه موضع انسان يعاني الام مثل تلك الحالة ويعرف ، فضلا عن ذلك ، مدى ضالة قدرة

١٨ - باللاتينية في النص : «ناظرا الى تقدمه فيه وخشيته بسوط همة» . -م-

١٩ - باللاتينية في النص : «وقد ابتراه ثبوت الهمة علما غداة وفناة

وانتد» . -م-

٢٠ - انظر سورة العنكبوت الاولى والتفسير جوانب اهل : القضاة مثلا

في هيئة «بورجوازي محترم» .



فن الخطب على تسكين هذا الداء . ومع ذلك . ليس لاحد ممن  
فراشنا ان حذرنا ما العبارات التي صبغ بها العهد العقود مع  
الشميطان الا بالاحرى العيدان الانسان . واولئهما كعب بالحجر .  
وبالجمما حرر بالدم بعد زهاء نصف عام . وكلاهما محفوظ . كما  
هو مذكور . في مدحر ماربازل . ومنسوخ في التذكار .

ان هذان العقدان ليعنان على العجما الشديد من زاوشين  
انفس . فبما اولوا لا يفسدان على اى الزام من جانب الشميطان  
مقابل رهن الخلاص الاذي لده . كما ان الرسام وحده هو الملام  
بالمنا بملية طب الشميطان . وانه لىء بعيد عن المنطق . بل  
ضرب من العيب . ان عامر ذلك الرجل بروحه لا ليشل لنا من  
الشميطان . بل ليزدى به سنا . وأغرب من هذا انما الالتزام  
الواقع على عائق الرسام .  
فالعهد الاول . المكوب بالحجر . ينص على ما يلى :

**انا الموقع هنا ، كرسstof هايتزمن ، انذر نفسي  
لهذا السيد وكانني ابنه من صلبه لمدة تسع سنوات .  
العام ١٦٦٩ .**

وينص العهد الثاني . المكوب بالدم :

**سنة ١٦٦٩**

**كرستوف هايتزمن . اعهد بنفسى كتابة الى هذا  
الشميطان ، واعدا بان اكون ابنه من صلبه ، وبان اكون  
بعد تسع سنوات ملكا له جسدا وروحا .**

سد ان عجيبا يزول كنه مى ما اعدنا ترتيب نص العهد بحيث  
ينقلب ما يبدو فيه وكأنه مطاب لشميطان اى وعد من جانبىه  
بالاحرى . ويمثل بالتالى ما طلبه الرسام منه . وعندئذ اخذ هذا  
العهد الملعن معنى مباشرا ويقدر فاعلا للمؤمن على النحو التالى :

يتعهد الشيطان للرسام ، لسنوات تسع ، بأن يقوم له مقام والندى المتوفى . فاذا ما انقضى هذا الاجل ، وقع الرسام جسماً وروحاً تحت سلطانه ، بحسب الصيغة الدارج استعمالها في هذا النوع من الصفقات . وعليه ، فان مسار افكار الرسام ، انى كانت حافزها انى فعلته ، يتحدد كما يلي على ما يبدو : لقد فقد ، بوفاء ابيه ، كل رغبة في العمل وكل مقدرة عليه ؛ فان وجد بديلاً لهذا الاب . فامله عندئذ ان يعرض عن هذه الخسارة . وحتى يغدو المرء سوداويًا بعد وفاة ابيه ، فلا بد ان يكون قد احبه حبا جما . ولكن من المستغرب في هذه الحال ان يخاطر في بال الابن فكرة اتخاذ الشيطان بديلاً عن ذلك الاب المحبوب .

- ٣ -

## الشيطان بديل الأب

ان تكن قد اوضحنا بلا مواراة مغزى هذا العهد مع الشيطان بالاستناد الى ذلك التأويل المقلوب . فيبدأ ما ان يسلم لنا بسبه - اخشى ذلك - نقد هادىء . فبوسع نقد كهذا ان يواجهنا بلا اعتراضين التالبيين . فليس من الضروري اولا اعتبار العهد عقدا ينص على التزامات الطرفين . بل هو لا يشتمل بالاحرى الا على التزام الرسام ؛ على اعتبار ان التزام الشيطان بقى مستبعدا من النص ، بوصفه «مضمرا» بنوع ما . والحال ان الرسام يلتزم التزامين : اولا بأن يعتبر نفسه ابن الشيطان لمدى تسع سنوات، ثم بأن يكون ملكه جسما وروحا بعد مماته . وهذا الاعتراض اذا صح يكون قد فوض احد الاسس التي بنينا عليها استنتاجنا . اما الاعتراض الثاني فمؤداه انه لا يجوز اعطاء عبارة «ان اكون ابنه من صلبه» وزنا اكبر مما ينبغي ، وانها قد لا تعدو ان تكون

اسنوبا دارجا في انكلام على نحو ما فهمها السادة الرهبان .  
وبالفعل ، لا يترجم هؤلاء الى لائبتيتهم ائبوة الموعودة فسي  
العبيدين . بل يكفون بالقول بن الرسام نذر نفسه Mancipavit  
للسيطان : متعهدا بان يعيش في الخطيئة وين ينكر الله والثالوث  
الاقديس . فما الداعي للابتعاد عن هذا التأويل الذي يكدي يكون  
بدهيا ولا قسر فيه (٢١) ، وفي هذه الحال سيكون الامر في غاية  
من البساطة : انسان سوداوي . يقرسه العذاب والضييق  
الميزان لهذه انحالة الهبوطية . ينذر نفسه للسيطان ويقر له بذلك  
باعظم سلطان علاجي . وما علينا ان نهنم اكثر من اللازم يكون هذا  
الهبوط ناشئا عن وفاة الاب ؛ فمن الممكن ان تكون له نقطة انطلاق  
مغايرة تمام . ومثل هذا الاعراض مئين ومفعول في الظاهر .  
ومن جديد يجد التحليل النفسي نفسه عرضة للعلامة على تعقيده  
الاشياء الاكثر بساطة حبا منه بالتمحك . وعلى رؤيته اسرارا  
ومعضلات حيث لا وجود لها . وعلى توصله الى ذلك بنسخيمه  
الاشياء الثانوية الصغيرة . التي لا نعدم نظيرها اينما اجلسنا  
الطرف ، وبتحمله اياها اوسع الاستنتاجات واغربها . وعبثا قد  
نرد هنا بان اطراح التحليل النفسي على هذا النحو لن يكون من  
نتيجته الا اثناء العديد من التشابهات المثيرة وتقطيع الكثير من  
الارتباطات المرفقة . مع انه كان من الممكن تسليط باهر الضوء  
عليها . فمناقضونا سيجيبون في هذه الحال بان هذه التشابهات  
والارتباطات لا وجود لها بكل بساطة . وانها مفحمة من قبلنا إقحاما

---

٢١ - ستوافق نحر اعننا ، حين سححت في موسوع لن ومن حرر ذلك  
المهدان ، على ان نصهما تان ينهي ان يوسع بألفاظ مأوفا وسيله الفهم من  
قبل الجميع . لكن يكفينا ان يحافظ على التماس في المعنى بخير معه اسناد  
تاويلنا اليه .

ببراعة فائضة عن الحاجة .

لن اقول تمهيدا للرد على ذلك الاعتراضين : لنلزم جانب الاستقامة او جانب الصراحة ؛ فهذا ما يفترض بنا ان نفعله على الدوام دونما مجهود خاص . بل سأذهب الى ابعد من ذلك واقول: اذا كان ثمة من لا يؤمن سلفا بقيمة التحليل النفسي . فليس مثال الرسام كرم . هانتزمن من القرن السابع عشر هو الذي سيفنعه بها . ولا يدخل اصلا في نيتي البتة ان استخدم هذا المثال دليلا على صلاحية التحليل النفسي ؛ بل افترض بالاحرى ان التحليل النفسي معترف به ومقبول ، ثم استخدمه بعد ذلك لتوضيح سر مرض الرسام الشيطاني . وهذا الحق انما استعده من نجاح ابحاثنا حول طبيعة الاعصبة بوجه عام . اذ بسعنا التوكيد . بكل تواضع ، انه حتى اكثر معاصرينا وزملائنا في المهنة استفلاؤ ذهن قد طفقوا يسلمون بأنه لا سبيل البتة . بدون التحليل النفسي . الى فهم الامراض العصبية .

«هذه السهام وحدها فتحت طرودة ؛ هي وحدها» : هذا ما يقر به اوليسس في فيلوكتيتس لسوفوكليس (٢٢) .

فان صح اعتبار عهد رسامنا مع الشيطان استيهما عصابيا . فليس لنا ان نعتذر عن نظرنا اليه من الزاوية التحليلية النفسية . فالقرائن الصغيرة لها ايضا مغزاها وقيمتها . وعلى الاخص من ما كان المطلوب تحديد الشروط التي راي فيها العصاب التور . صحيح انه من الممكن التهويل او التهوين من شأنها سواء بسواء . وانها لمسألة حصافة ان يدرك المرء مدى ما يمكن تطبيقه عليها من قيمة . لكن اذا كان ثمة من لا يؤمن بالتحليل النفسي . ولا حتى

---

٢٢ - فيلوكتيتس : في المينولوجيا الاغريقية بطل من ابطال حمصار طرودة اورنه هيرقليس اسهمه السمومة التي لا تخطره هدفها ، وعلى نغمة حباه بنى سوفوكليس مسرحياته . -م-

بالشيطان ، فلا نملك الا ان ندع له مهمة معرفة ما سيفعله بقصة  
الرسام ، سواء الفلح في تفسيرها بوسائله الخاصة ام لم يجد  
فيها ما يستاهل توضيحا .

لنعد اذن الى فرضيتنا : ان الشيطان : الذي ينذر الرسام  
نفسه له ، هو في نظره بديل الاب . والشخص الذي يظهر  
الشيطان في صورته للمرة الاولى يتجاوب وهذه الفرضية : فهو  
بورجوازي محترم متقدم قليلا في السن ، ذو لحية سمراء ،  
ومعطف احمر ، وقبعة سوداء ، يده اليمنى تستند الى عصا ،  
والى جانبه كلب اسود (الصورة ١) (٢٢) . وبعد ذلك يظهر الشبح  
بمظهر مرعب اكثر فاكثر ، بل ربما جاز لنا ان نقول : بمظهر اكثر  
أسطورية ؛ فمن عدته قرون ومخالب نسر واجنحة خفاش . وفي  
الاخير يظهر الشيطان في المزار في شكل تين طائر . ولنا عودة  
لاحقا الى تفصيل محدد آخر من تفاصيل هيئته .

حقا انه لمن المستغرب في ظاهر الامر ان يقع الاختيار على  
الشيطان بديلا عن اب محبوب ؛ بيد ان ما ذلك بغريب الا للوهلة  
الاولى فحسب ، اذ اننا نعرف وقائع اخرى قيمية بالتخفيف من  
دهشتنا . فنحن نعلم اولاً ان الله بديل للاب ، او بتعبير ادق اب  
مبجل ، او صورة عن الاب كما كان يراه المرء ويحس بوجوده في  
طفولته ، او الفرد في طفولته الخاصة ، او النوع البشري في  
الازمنة السالفة بوصفه ابا العشرة البدائية . وفي زمن لاحق  
نظر الفرد الى ابيه غير هذه النظرة . فراه متضائل الاهمية بنوع ما،  
لكن تلك الصورة الطفلية الاولى لبنت قائمة وانصهرت مع البقايا  
المتوارثة لذكرى الاب السائف لتؤلف التمثل الفردي عن الله .  
ونعلم ايضا ، من خلال التاريخ الحميم للفرد كما يميظ عنه اللثام

---

٢٢ - لدى غومه يخرج الشيطان نفسه من كلب اسود من هذا النوع .

فائضة عن الحاجة .

اقول تمهيدا للرد على ذينك الاعتراضين : لننظر  
من جانب الصراحة ، فهذا ما يفترض بنا ان  
ونما مجهود خاص ، بل ساذهب الى ابعد من ذلك  
تمة من لا يؤمن سلفا بقيمة التحليل النفسي . فلي  
كر . هابتزمن من القرن السابع عشر هو الذي سي  
ل اصلا في نيتي البتة ان استخدم هذا المثال  
التحليل النفسي ؛ بل افترض بالاحرى ان التح  
معترف به ومقبول ، ثم استخدمه بعد ذلك لتو  
رسام الشيطاني . وهذا الحق انما استمدده من  
حول طبيعة الاعصبة بوجه عام . اذ يسعنا التوكيد  
، انه حتى اكثر معاصرينا وزملائنا في المهنة  
ظفقاوا يسلمون بأنه لا سبيل البتة . بدون التح  
الى فهم الامراض العصابية .

ه السهام وحدها فتحت طرودة ، هي وحدها  
وليسر في **فيلوكيتيس** لسوفوكليس (٢٢) .

صح اعتبار عهد رسامنا مع الشيطان استيهاما

بالشيطان ، فلا نملك الا ان ندع له مهمة معرفة ما سيفعله بقصة الرسام ، سواء الفلح في تفسيرها بوسائله الخاصة ام لم يجد فيها ما يستاهل توضيحا .

لنعد اذن الى فرضيتنا : ان الشيطان ، الذي ينذر الرسام نفسه له ، هو في نظره بديل الاب . والشخص الذي يظهر الشيطان في صورته للمرة الاولى يتجاوب وهذه الفرضية : فهو بورجوازي محترم متقدم قليلا في السن ، ذو لحية سمراء ، ومعطف احمر ، وقبعة سوداء ، يده اليمنى تستند الى عصا ، والى جانبه كلب اسود (الصورة ١) (٢٢) . وبعد ذلك يظهر الشيخ بمظهر مرعب اكثر فأكثر ، بل ربما جاز لنا ان نقول : بمظهر اكثر اسطورية ؛ فمن عدته قرون ومخالب نسر واجنحة خفاش . وفي الاخير يظهر الشيطان في المزار في شكل تنين طائر . ولنا عودة لاحقا الى تفصيل محدد آخر من تفاصيل هيئته .

حقا انه لمن المستغرب في ظاهر الامر ان يقع الاختيار على الشيطان بديلا عن اب محبوب ؛ بيد ان ما ذلك بغريب الا لاهلته الاولى فحسب ، اذ اننا نعرف وقائع اخرى قميئة بالتخفيف من دهشتنا . فنحن نعلم اولاً ان الله بديل للاب ، او بتعبير ادق اب مبجل ، او صورة عن الاب كما كان يراه المرء ويحس بوجوده في طفولته ، او الفرد في طفولته الخاصة ، او النوع البشري في الازمنة السالفة بوصفه ابا العشرة البدائية . وفي زمن لاحق نظر الفرد الى ابيه غير هذه النظرة . فراه متضائل الهمية بنوع ما ، لكن تلك الصورة الطفلية الاولى لبثت قائمة وانصهرت مع البقايا المتوارثة لذكرى الاب السانف لتؤلف التمثل الفردي عن الله . ونعلم ايضا ، من خلال التاريخ الحميم للفرد كما يميظ عنه اللثام

---

٢٢ - لدى غوته يخرج الشيطان نفسه من كلب اسود من هذا النوع .

التحليل . ان العلاقات ذلك الاب كانت ، ربما من البداية ،  
تدائمية . او اذ انضحت كذلك على كل حال في وقت مبكر ،  
بعضها كانت شتمت على تيارين انعنائيين متناقضين ، اى  
ليس فقط على عاطفة خضوع وحب . بل كذلك على عاطفة عداوة  
وتحدر . وهذا النزاع عيه يبين . بحسب رؤيتنا للامور ، على  
علاقات اسرية بالهننا . وانما بهذا النزاع الذي لا نهاية له بين  
الحنين الى الاب . من جهة اولى . وبين الخوف والحسدي  
البنويين . من الجهة الثانية . امكن لنا ان نقرر منحي هامة من  
الاديان وتطورات حاسمه على صعيدها (٢٤) .

المقاس . نعم ان الشيطان الرجيم ينظر اليه على انه عدو  
الله وفريب الصلة للغاية بالطبيعة الالهية في آن واحد . بيد ان  
تاريخه ليس معروفا بمثل العمق الذي يعرف به تاريخ الله .  
على اعتبار ان الاديان لم تتبين كلها ابليس الشرير . خصه الله بـ  
نموذجه في الحياة الفردية يبقى بعيدا عن الانسوار في باديء  
الامر . لكن الشيء الاكيد ان الالهة يمكن ان تنقلب الى ابلة  
اشرار اذا ما دحرتنا آلهة غيرها . وعندما يغلب شعب من  
الشعوب على امره . فليس يندر ان تستحيل آهته الساقطة الى  
ابلة في نظر الشعب الغالب . لقد كان ابليس العقيصة  
المسيحية ، شيطان القرون الوسطى . هو نفسه ملاكا ساقطا  
بحسب الميتولوجيا المسيحية . ومن جوه واحد والله فسي  
الاصل . ولا حاجة بنا الى رهافة تحليلية كبيرة كيما نحزر ان الله  
والشيطان كنا متمائلين في الهوية في البداية ، شخصية واحدة  
انشطرت في زمن لاحق الى وجوهين محبو كل منهما بصفات

---

٢٤ - على الطوطم والياو . والمعركة من التحليل . رابك : مشكلات  
علم النفس الديني . ١٩١٩ . ١ .



متعارضة (٢٥) . وفي الأزمنة البدائية للأدين كان الله ذاته يتسم بجميع السمات المخيفة التي عزيت في زمن لاحق إلى قيضه . ان هذه لسيرورة نفسية معروفة تدينا جيدا . ان يتخلل التمثل المنظوي على تناقض والتنازع التي تحدث في صاخره التباين . لكن هذه التناقضات في طبيعته الله البدائية هي انعكاس للأزمنة واجبة التي نعيمنا على علاقات الفرد بربه بالذات . فان يكن الله الرحيم والعدل بديلا للاب . فلم يأخذنا العجب اذا ما تجسد الموقف الخبيث . موقف التحقذ والكره والتمرد . في اخلاق الشيطان ؛ وعنى هذا الاساس . يكون الاب هو النموذج البدائي والفردية انه والسيطان على حد سواء . ومن هذا المنطلق فان الادين لا بد ان تكون حاملة هي نفسها لآل لا يحصى خلفه فيها واقع ان الاب السفي كان كائنا حيث الطوية الى غير ما حد ، اشبه بالشيطان منه بالله .

من المؤكد انه ليس من السهل الى هذا الحد اكتشاف اثر التصور الشيطاني للاب في حياة الفرد النفسية . لكن حين يرسم الغلام الصغير وجوه مكشرة وكاريكاتورية . فقد نفلح في ان نشيت انه جزءا من ابيه نيبا ؛ وعندما يخاف انصبان والبنات من اللصوص وقطاع الطرق . فبوسعنا بغير ما صعوبة ان نتعرف في هؤلاء الاخيرين مشتقات الاب (٢٦) . كذلك فان الجرائم التي تظهر في ارهة الحيوان لدى الطفل هي في اكثر الاحيان بدائل للاب ، مثلما كان الحيوان الطوطمي بديله في الأزمنة السالفة .

---

٢٥ - انظر ت. راك : الله الاسدي والله الغريب . نسي ايمانفو : ٣ ،

١٩٢٣ . في النفس الثمنون : الله والسيطان .

٢٦ - يبدو الاب اللذبي في حكاية الجديان السبعة المعروفة وانه يتعرف

جرم سرقة مع خلق .

لكن من النادر ان نعاين ، بدئل الجلاء الذي نعاين به لدى رسامنا المصوب (٢٧) من القرن السابع عشر . واقع ان الشيطان هو صورة عن الاب وبديله . ولهذا امرت عن املتي . في بداية هذا النص ، بان تهدينا قصة مرض شيطاني من هذا النوع الى عرق معدن خالص ليس لنا ان نحصل على نظيره من فلزات الترابطات والأعراض العصابية لعصر تال - عصر ما عاد يؤمن بباطسل المعتقدات ولكنه بات مصابا بالمقابل بهجاس المرض - اقول : ليس لنا ان نحصل على نظيره من هذه الفلزات الخام الا بمجهود تحليلي شاق (٢٨) .

وأغلب الظن ان اقتناعنا هذا سيعزز اكثر بعد اذا ما تعمقنا في تحليل مرض رسامنا . فليس ثمة من شيء خارق للمألوف اذا ما عانى شخص من الاشخاص ، على اثر وفاة والده . هبوطا سوداويا وكفا عن العمل . وسنستنتج في هذه الحال انه كان يكنّ لذلك الاب حبا جم . وسنستذكر كيف تنظاهر سويداء حادة في كثير من الاحيان كتعبير عصابي عن الحداد . ولن نكون في هذه الحال الا على صواب . لكن بشرط الا

#### ٢٧ - المصوب Névrosé : المصاب بالمصاب . -

٢٨ - لن لم نلتح الا فيما ندر في تحاليلنا في الشفاف الشيطان كبديل للاب ، فنمل مرد ذلك الى ان هذا الوجه من وجود مينولوجيا القرون الوسطى ما عاد مد زمر بلعب دوره لدى الاشخاص الذين يقصدوننا لتحليلهم .  
 أما في نظر مسيحي القرون المناسية الورع فان الإيمان بالشيطان كان واجبا لا بغن إرماميه عن الايمان بالله . فقد كان بحاجة الى الشيطان فيما يحتمر من مواجهة الله . ولما تناقص الإيمان في زمن لائق ، ولأسباب شتى . انساب اول ما انساب سجن الشيطان . ولو امتلنا الجرأة على تعيين مدره الشيطان كبديل عن الاب على تاريخ الحضارة . لاسأله ما محامات السمحة في العصر الوسيط ان نظرها نظرة جديدة .

نستنتج من ذلك ان تلك العلاقات كانت منسوجة من حب خالص . بل على العكس : فالحداد على فقدان الاب سيتحول بسهولة اكبر الى سويداء اذا ما كانت العلاقات به تتسم بسمة الازدواجية . ونحن . بتشديدنا للهجة على هذه الازدواجية . نهيء انفسنا لفهم عملية الانتقال من قدر الاب ، كما يفصح عنها عصاب الرسام الشيطاني . ولو كان متاحا لنا ان نجمع من المعلومات عن شخص كـر . هايتزمن بقدر ما نجمع منها عن مريض من مرضانا الذين نقوم بتحليلهم . لكان امكن لنا بيسر وسهولة ان نتبحر في تلك الازدواجية ، وان نحمل المريض على ان يتذكر من جديد متى وفي اية مناسبة دعاء الداعي الى ان يخشى جانب ابيه ويغضه ، ولكان امكن لنا بوجه خاص ان نكتشف العوامل الطارئة التي انضادت الى العوامل النمطية لكراهية الاب ، هذه العوامل التي تكمن جذورها حتما في العلاقات الطبيعية بين الاب والابن . ولعلنا كنا سنجد على هذا الاساس تفسيراً خاصاً للكف عن العمل . ومن المحتمل ان يكون الاب في هذه الحال قد عارض رغبة ابنه في ان يصير رساما ؛ ومن ثم فان العجز الذي انتاب هذا الاخير . غداة وفاة والده ، عن مزاولته فنه ليس ، من جهة اولى ، سوى تظاهر للطاعة المرجاة - وهذه ظاهرة معروفة جيدا - كما ان هذا العجز الذي سد في وجه الابن سبل تدبر معاشه وقوت يومه قد زاد . من الجهة الثانية ، من تحسره على الاب بصفته حاميا من هموم الحياة . ثم ان هذا العجز ، بوصفه طاعة متأخرة ، تعبير عن تبكيت الضمير وقصاص ذاتي بالغ النجع .

بالنظر الى تعذر اخضاع كـر . هايتزمن ، المتوفى سنة ١٧٠٠ ، لمثل هذا التحليل ، فلا مناص لنا من الاقتصار على تسليط الضوء على خصوصيات قصة مرضه القمينة بان تزودنا بتوجيهات بصدد المنطلقات النمطية لموقف عدائي حيال الاب . وهذه الخصوصيات ليست بالكثيرة عددا ، كما انها ليست ملفتة كثيرا للنظر ، ولكنها

عظيمة الفائدة .

بادئ ذي بدء دور العدد ٩ . فالعهد مع الشيطان معفود  
سبع سنوات . ورواية خوري بوتنبرون الجديرة بالتصديق بلا  
جدان تصحح من ذلك يوسوح . Pro Novem Annis Syngraphen  
Scriptam Tradidit (٢٩) . ورسالة التوصيسة هذه .  
المؤرخة في ١ أيلول ١٦٧٧ . تدلنا أيضا على ان الاجل سينقضي  
في غضون بضعة ايام : Quorum Et Finis 24 Mensis Hujus  
Futurus Appropinquat (٣٠) . وعلى هذا يكون العيد قد وقع  
في ٢٤ ايلول ١٦٦٨ (٣١) . ويرد ذكر العدد تسعة في هذه الرسالة  
مرة اخرى ايضا : Nonies - تسع مرات - اي ان الرسام قاوم  
تسع مرات كما يزعم تجارب الشيطان قبل ان يسقط . وهذا  
التفصيل لن يرد له ذكر في الروايات اللاحقة . وقد جاء ايضا في  
شهادة رئيس الدير Post Annos Novem (٣٢) . ويردد  
التاسع في بيئته Ad Novem Annos (٣٣) . مما يدل على ان هذا  
العدد لم يعتبر مما لا يعتد به .

ان العدد تسعة مألوف لدينا في الاستيهامات العصائية . فهو  
عدد شهور الحمل ، وهو يوجه انتباهنا على الدوام ، حال ظيوره .  
الى تخييل يتعلق بالحمل . صحيح ان الكلام يدور ، بالنسبة الى  
رسامنا ، عن تسعة اعوام لا عن تسعة شهور ؛ وقد يقال ايضا ان

---

٢٩ - باللاتينية في النص : «وسمه سكا مكتوبه اجله تسع سنوات» . -م-

٣٠ - باللاتينية في النص : «سنتي الاجل في ٢٤ من الشهر الجاري» .

- م -

٣١ - سنهتهم فيما بعد بالتناقض الممثل في ان العهدين يحملان تاريخا

واحدا هو سنة ١٦٦٩ . -م-

٣٢ - باللاتينية في النص : «بعد تسع سنوات» . -م-

٣٣ - باللاتينية في النص : «تسع سنوات» . -م-

العدد تسعة هو بحد ذاته عدد ذو مغزى ودلالة . ولكن مسا بدرينا ان العدد تسعة ؛ بوجه عام ؛ لا يدين نقسط كبير من حظوته لدوره في الحمل ؛ وليس لتحويل الشهور التسعة الى سنوات تسع ان يضلنا عن سواء السبيل . فنحن نعرف من الحلم كيف ان «نشاطنا النفسي اللاشعوري» يتصرف على هواه بالأعداد . فان صادفنا في حلم من الاحلام العدد خمسة . على سبيل المثال ، فلا بد ان نرجعه في كل مرة الى عدد «خمس» له اهميته في حياة اليقظة ؛ فالمقصود في الواقع خمس سنوات كفارق فسي السن . او شركة من خمسة اشخاص . لكن هذه الخمسات تبدى في الحلم في شكل خمس ورفات نقدية او خمس ثمار . اذن فالعدد يبقى هو هو ؛ لكن ما يدل عليه هو الذي يتغير تبعا لحاجات التكيف وانتقل في الحلم . وتسع سنوات في الحلم يمكن بسهولة ان تقابل تسعة شهور في الواقع . ويتصرف عمل الحلم بأرقام حياة اليقظة بطريقة اخرى ايضا . اذ يضرب صفحا . وبلا مبالاة مطلقة ؛ عن الأصفار . ولا يعبرها اعدادا . وعلى هذا فنحن خمسة دولارات في الحلم يمكن ان تمثل خمسين دولارا او خمسمئة او خمسة آلاف دولار في الواقع .

وثمة نقطة تفصيلية اخرى في علاقة الرسام بالشيطان تردنا بدرنا الى الجنسية Sexualité . فقد رأى الشيطان لأول مرة ؛ كما أسلفت الاشارة ؛ في صورة بورجوازي محترم . لكن سرعان ما تبدى له الشيطان ؛ في المرة الثانية . عاريا . شائمه الشكل ؛ وله ثديا امرأة . وفي كل ظهور من ظهوراته التالية سيكون له زوج او اكثر من الإثداء . وفي واحد من هذه اظهورات فقط سيحمل الشيطان . علاوة على الإثداء ؛ قضيبا ضخما له نهاية ثعبانية . وهذا الإلحاح على تمييز الجنس المؤنث بالثداء جسيمة ومتدللة الا اشارة هناك على الإطلاق الى الاعضاء التناسلية المؤنثة؛ قد يبدو متناقضا تناقضا سارخا مع فرضيتنا

القائلة بأن الشيطان هو لرسامنا بديل عن الاب . والحق ان مثل هذا التمثيل للشيطان هو بحد ذاته غريب ومخالف للمألوف . صحيح انه حينما يقدو «ابليس» مفهوما من مفاهيم النوع ، وانه حين يظهر بالتالي عدد كبير من الابالسة ، فلا عجب ان وجدنا بعض هذه الابالسة وقد صورت في صورة اناث ؛ لكن يخيل الي ان «ابليس» ، بشخصيته البارزة والقوية وبكونه سيد الجحيم وعدو الله ، لا يمثل ابدا الا ذكرا ، بل اكثر من ذكر . بقرون وذنوب وقضيب ثعباني كبير .

بيد انه باستطاعتنا ، بالاستناد الى تينك القرنيتين البسيطتين ، ان نحزر ما العامل النمطي الذي يشرط الجانب السلبي من علاقات الرسام بآبيه . فما يصارع ضده انما هو الموقف المؤنث ازاء هذا الاب ، وهو موقف يدرك نقطة أوجه في تخيل انجاب طفل منه (تسع سنوات) . وغالبا ما تلتقي في تحاليلنا هذه المقاومة التي تتخذ اشكالا مثيرة للاستغراب في التحويل *Transfert* وتنصب في وجهنا عقبات لا يستهان بها . وهاهوذا رسامنا وقد نشط لديه من جديد ، تحت تأثير حداده على ابيه الفقيده وحينه المتعاطف اليه ، تخيل الحمل الذي كان قد كبته منذ زمن بعيد ، فما عاد امامه من وسيلة للذود عن نفسه ازاء هجمة هذا التخيل سوى العصاب والانتقاص من قدر الاب .

لكن لماذا يحمل هذا الاب المحطوط الى دور ابليس صفات المرأة الجسمانية ؟ ان هذه السمة تبدو للوهلة الاولى عسيرة التأويل ؛ لكن سرعان ما يحضر امامنا تفسيران يراحم واحدهما الآخر . وان كانا لا يتنافيان . فالوقوف المؤنث من الاب ضرب عليه نطاق من الكبت حالما ادرك الصبي الصغير ان لمناسبة المراد على حب الاب شرطاء ، وهو التخلي عن عضو ذكورته ، اي الخشاء . وعلى هذا يكون نبذ الموقف المؤنث نتيجة الصراع ضد الخشاء ،

وهو يجد قياسيا اقوى تعبير له فى التخيل المعكس : خصاء الاب نفسه وتحويله الى امرأة . وعلى هذا الامتنان تكون ابداء ابليس بمثابة إسقاط لانوثة الابن على ابدنيل الابوي . انما السمة الثاني لهذه الصفة الجنسية من سمات ابليس فمتلفه حتى لا يدانى . وبموجبه يكون هذا الشكل دراسة على ان الحب انطلى . عند حوّل الى الاب وانه ينطوى المالى على تثبيت امري سابق قوى ومسؤول الى حد ما عن العداء ازاء الاب . وما الاثناء الشامة الا علامة ايجابية على جنس الام . وهذا فى زمن لا يعرف فيه العطل بعد السمة السلبية للمرأة . اي غياب القضب (٢٤) .

ان كان النفور من ابدول بالخصاء قد جعل من المتعذر على رسامنا ان يتحرر من حنينه الى الاب . فيسير علينا فى هذه الحال ان نفهم ان يكون قد قصد صورة الام طلبا للعون والخلص . ولهذا يصرح ان والدة الله القديسة الماريالزية هي وحدها القادرة على تخليصه من العيد الذي تعهد به لإبليس ، وفي يوم ميلاد العذراء (٨ ايلول) يذوق بالفعل بالخلص . ولن يقبض لنا ابداء بطبيعة الحال ان نعرف ان لم يكن اليوم الذي عقد فيه العهد . ٢٤ ايلول . يوما له مدارنه القدسي الخاص هو ايضا .

ولعل اكثر ما يقابى بالنفور وعدم التصديق من الراشد السوي فى افتراضات الدانيل النفسى عن حياة الطفل النفسية هو الموقف المؤنث للنفسى التفسير من الاب . وبخيل الحمل الذي يترتب عليه . وان حصار فى مقدورنا ان نتكلم عن هذا الموقف بلا مراعاة وبلا حاجة الى طلب مسوغات له الا منذ ان نشر رئيس المحكمة العدا فى اقليسم الساكس . دانيل بول شريبر

---

٢٤ - تاريخ ذكرى من طفولة ليوناردو دافنشى ، المؤلفات الكاملة ،

Schreber ، قصة مرضه الذهاني وشفائه سبب الشام (٢٥) .  
 وقد اتاح لنا نشر هذا الكتاب الثمين الاطلاع على ما يلي : فقد  
 ساور السيد رئيس المحكمة العليا . وهو في حوائى الخمسين من  
 العمر . يقين مطلق بأن الله - المتسم باسمت السيدة المعرف  
 لواند الرئيس . الطبيب المحترم الدكتور شربير - قد أبرم قراره  
 بأن يخصه وبأن يعامله كامراد وبين يستولده بترا جددا من  
 طينة آل شربير او كان هو نفسه بلا اولاد من زواجه . وتحت وطأة  
 الصراع الذي خاض غماره ضد نية الله تلك . التي بدت له ظالمة  
 مجحفة بقدر ما هي «معاكسة لنظام الكون» . سقط مريضاً . وفطرت  
 عليه جميع اعراض الذهان الهذاني Paranoia الذي ما لبث  
 ان خفت حدته مع مر السنين حتى لم يبق منه سوى رسامة  
 طفيفة . وبديهي ان كاتب قصة مرضه ما كان ، على نهايته .  
 ليشتبه بأنه يكشف فيها عن عامل نمطي من عوامل نشوء الامراض  
 النفسية .

هذا النور من الخفاء او من الموقف المؤنث سلخه الفريد  
 آدار (٢٦) من سياق العضوي وأرجعه . من خلال علاقات سطحية  
 او كاذبة ، الى ارادة القوة ، وسادر على انه ميل مستقل عمده  
 باسم «الاحتجاج الذكوري» . لكن بما ان العصاب لا يمكن ان  
 ينشأ الا عن نزاع بين ميلين ، فمن المسوغ لنا ان نرى علته «جميع»

---

٢٥ - د.ب. شربير : مذكرات مريض عصبي ، لايرع ١٩٠٧ . فان مع  
 تحليلي لحالة شربير : ملاحظات تحليلية نفسية حول السيرة الذاتية لصابه  
 بالذهان الهذاني . في المجلة الفرنسية للتحليل النفسي . ١٩٢٢ - الاصدار ١ .  
 ٢٦ - الفريد آدر : طبيب وداع من النمساوي ١٨٧٠ - ١٩٣٧ . د.ب. احمد  
 اكبر المتناقين عرفتهما حركة التحليل النفسي . ووتسبع مدعيه عم النسخ  
 الفردي والطبي . -٣-



الأعصبة في الاحتجاج المذكوري كما في الموقف المؤت الذي هو موضوع هذا الاحتجاج . ولا مرأء في أن للاحتجاج المذكوري دورا مطردا في تكوين الطبع . وهو دور بالغ الأهمية في بعض الانماط ، كما لا مرأء في أن الاحتجاج المشار إليه ينصب امامنا . في تحليل المعصوبين من ارجال . في سورة مقاومة عنيفة . وبقيم التحليل النفسي الاحتجاج المذكوري بحق قيمه بدالة عفة الخصاء . من دون أن يكون في وسعه أن يثبت كلية قدرته أو كلية حضوره في الأعصبة . ومن بين جميع حالات الاحتجاج المذكوري المتظاهر في جملة من ردود الأفعال والسمات الطبيعية البينة . كانت أبرز الحالات التي استدعت تدخلها حالة عصاب وسواسي امكن فيها للنزاع غير المحلول بين الموقف المذكور والموقف المؤت (خوف الخصاء ولذة الخصاء) أن يعبر عن نفسه بوضوح وجلاء . زد على ذلك أن المعالج كانت تتباه استيهامات مازوخية تتجه جميعها بانجاه الرغبة في القبول بالخصاء ، ولقد وصل به الأمر ، تحت دفع هذه الاستيهامات . الى طلب اشباع مادي لها بطريقة شاذة . وكانت حالته في جعلتها تقوم - شأنها أصلا شأن نظرية أدلر - على أساس من الكبت ونفي التثبيتات الحبية العائدة الى الطفولة الأولى .

لقد وجد الرئيس شريبر سبيله الى الشفاء حين قرعزمه على المعزوف عن مقاومة الخصاء وعلى الارتضاء بالدور المؤت الذي قيضه الله له . فساوره عندئذ شعور بالهدوء والصفو والطمأنينة . واستطاع أن يطلب وأن يحقق بنفسه خروجه من المصح العقلي ، وأن يحيا حياة سوية . وذلك باستثناء النقطة اليتيمة التالية : وهي تكريسه بضع ساعات من كل يوم لشؤون انوثته . وقد رسخ لديه الاقتناع بأن التقدم الويد لهذه الأخيرة سيدرك لا محالة الهدف الذي عيئته له الرب .

## العهدان

تنطوي قصة رسامنا على تفصيل فريد مشير للاثبات . تتمثل في تصريحه بأنه عقد مع ابليس عهدين مختلفين .  
وقد نص العهد الاول . المكتوب بالحبر الاسود . على ما يلي :

«انا الموقع ادناه . كره . ه . . . انذر نفسي ليعذا  
السيد وكنني ابنه من سنه لمدة تسع سنوات» .  
اما نص العهد الثاني . المحرر بالدم . فكما يلي :  
«كره . ه . . . اعهد بنفسى كناية الى هذا الشيطان .  
واعدا بان اكون ابنه من سنه وبان اكون بعد تسع  
سنوات ملكا له جسدا وروحا» .

والنسختان الاسليتان لهذين العهدين كانتا موجودتين بطبعه  
الحال ، لدى تحرير التذكار . في محفوظات دير ماريازل ؛ وكانا  
كلاهما تحملان تاريخا واحدا هو سنة ١٦٦٩ .  
لقد اتيت بذكر هذين العهدين تكرارا ، وسوف اوليهما الان  
مزيدا من الاهتمام . وان يكن خطر المبالغة في التدقيق نفسى  
التفاصيل يبدو هنا كبيرا فعلا .

انه الامر غريب ان يندر شخص نفسه لابليس مرتين . وعلى  
نحو محل معه العهد الثاني محل الاول من دون ان يتسخه ويظل  
مفعوله . ولعل من اليق قصص ابليس واعتادها . ان تأخذه  
الدهشة التي اخذتنا . ولكني لا املك . من جانبى . الا ان ارى  
في ذلك سمة تفرد بها الحالة التي هي موضوع بحثنا . ولقد  
ساورني الشك حين لاحظت ان هذه النقطة هي بالتحديد النقطة

التي لا تنفق حولها الروايات . وانحال ان دراسة هذه التناقضات ستقودنا عن نحو لاموقع الى تفهم اعمق لحالة مريضنا .

ان الامر ، بموجب رسالة الوصية الصادرة عن خوري بوتنبرون . ليو بمنتهى البساطة والوضوح . فني لا يذكر سوى عهد واحد كتبه الرسام بالدم قبل تسع سنوات وكان يفترض فيه ان يحين اجله في غضون بضعة ايام . في ٢٤ ايلول : وعليه فان هذا العهد قد حزر في ٢٤ ايلول ١٦٦٨ : لكن هذا التاريخ ، الذي نستطيع استنتاجه بيقين . لم يرد له : مع الاسف ، ذكر صريح .

وبالمقابل فان الامر يبدو اشد تعقيدا بموجب شهادة رئيس الدير فرانسيسكوس المؤرخة . كما تعلم ، بعد بضعة ايام (في ١٢ ايلول ١٦٧٧) . ولا بد لنا من التسليم : بناء عليها . بان الرسام قد ادلى في غضون ذلك بمعلومات اكثر تفصيلا . فقد جاء في الشهادة المذكورة ان الرسام وقع عهدين . الاول في ١٦٦٨ (وذلك كما هو مفروض بالفعل بموجب رسالة التوصية) ، وقد حزر بالحبر الاسود ، والثاني في السنة التالية ١٦٦٩ (٢٧) ، وقد حزر بالدم . والعهد الذي اعيد اليه يوم ميلاد العذراء كان العهد الذي كتب بالدم ، اي العهد الثاني المعقود سنة ١٦٦٩ . وهذا لا يستبان من شهادة رئيس الدير : اذ كل ما جاء فيها يعدد ذلك هو فقط ما يلي : Schedam Redderet (٢٨) و Schedam Sibi Porgentem Conspexisset (٢٩) ، وكان الامر لا يعدو ان يكون امر سك واحد . ولكن ذلك يستبان من تمة القصة ، وكذلك من عنوان التذكار الملون الذي تشاهد فيه بوضوح الكتابة

١٦٦٩ ١٦٧٧ ١٦٧٧

الحمراء على الصك الذي يمك به التنين الشيطاني . وكما تقدم بنا القول سارت الامور لاحقا على الوجه التالي : فقد رجع الرسام في ايار ١٦٧٨ الى ماريازل ، بعد ان تعرض في فيينا لهجمات جديدة من قبل ابليس ، وقدم التماسه الذي طلب فيه ان تعاد اليه ، بشفاعة جديدة من العذراء القديسة ، الوثيقة الاواسى المكتوبة بالحبر . والطريقة التي تم بها ذلك لم توصف هذه المرة بالتوسع الذي وصفت به في المرة الاولى . فقد ورد القول فقط *qua iuxta votum Reddita* (٤٠) ، وفي موضع آخر يروي الناسخ ان هذا العهد عينه «المدعوك والمعزق الى اربع» رمى به الشيطان الى الرسام ، في ٩ ايار ١٦٧٨ ، في حوالي الساعة التاسعة مساء .

بيد ان العهدين يحملان كلاهما تاريخا واحدا : سنة ١٦٦٩ . فإما ان هذا الاختلاف لا يعني شيئا على الإطلاق ، وإما ان يحملنا على التفكير على النحو التالي :

اذا اعتبرنا ان بيان رئيس الدبر هو الاكمل ، نهضت امامنا إشكالات شتى . فحين اعترف كره... لخوري بوتنبرون بأنه فريسة للاحققات ابليس وان اجل الاستحقاق بات وشيكا ، ما كان من الممكن ان يذهب به الفكر (في سنة ١٦٧٧) الا الى العهد المعقود سنة ١٦٦٨ ، اي العهد الاول ، المحرر بالاسود (وهو العهد الذي لا تشير رسالة التوصية الى صك سواه، وان نعنته بأنه مكتوب بالدم) . غير انه لم يعد له من هم بعد بضعة ايام ، في ماريازل ، الا ان يحصل من جديد على الثاني ، المكتوب بالدم ، والذي لم يحن بعد اجل استحقاقه (١٦٦٩-١٦٧٧) ، من دون ان يبالي باستحقاق اجل الاول . وهذا العهد الاول لا يعود الى المطالبة به الا في سنة ١٦٧٨ ، اي في السنة العاشرة من عقده . ثم ما علة تأريخ العهدين

---

٤٠ - «فاميد اليه حسب طلبه» . -

كليهما بسنة واحدة هي سنة ١٦٦٩ . مع ان واحدهما معزور  
بعبارة صريحة الى «السنة التالية» (٤١) ؛

يبدو ان الناسخ احس بهذه الاشكالات ، فحاول تذليلها . ففي  
مدخله بنقيد بيان رئيس الدير ، لكنه يعدله في نقطة واحدة .  
فهو يقول ان الرسام عقد في سنة ١٦٦٩ مع الشيطان عهدا كتب  
بالحبر . وبعد ذلك Deinde Vero . بالدم . ويضرب صفحا  
عن المعطيات الشكلية للروايتين - بموجب هذه المعطيات يستحق  
اجل احد المهدين في سنة ١٦٧٨ - كما يفض النظر عن الملاحظة  
التي وردت في شهادة رئيس الدير من ان تاريخ السنة قد تبدل  
بين توقيع كلا المهدين ، كيلا يخالف التاريخ الذي يحمله السكان  
الذان اعادهما اليه .

ففي شهادة رئيس الدير ، وبعد عبارة : **ففي  
السنة التالية ١٦٦٩** . وردت بين قوسين هذه الفقرة :

Sumitur Hic Alter Annus Pro Nondum Completo Uti  
Saepe In Loquendo Fieri Solet, Nam Eundum Annum Indi-  
cant Syngraphae Quarum Atramento Scripta Ante Prae-  
sentem Attestationem Nondum Habita Fuit. (٤٢)

وهذه الفقرة تدل على لا مرية فيه من جانب الناسخ ، لان رئيس  
الدير ، الذي لم يقع بصره الا على صك واحد ، لا يستطيع ان  
يشهد على انهما يحملان كلاهما تاريخا واحدا . ويبدو على كل  
حال ان الفرض من استعمال القوسين هو الاشارة الى ان ما بينهما

---

٤١ - باللاتينية في النص : Anno Subsequenti : م-

٤٢ - باللاتينية في النص : «عده السنة الاخرى تعتبر غير مكتملة بعد كما  
دوحت العادة على القوم ، لان الصكين ، اللذين لم يحررا بالحبر قبل هذه  
الشهادة ، يشير الى سنة واحدة» . م-

أشانه من خارج الشهادة . وهذه الانسافة المضمّنة بين قوسين هي بمثابة محاولة أخرى من جانب الناصح لدليل استناقضات المشار اليها . فلا شك في ان هذا الأخير كان معتقد بن العيد الأول وقد عقد فعلا في سنة ١٦٦٨ . ولكن بما ان السنة كانت قد تقدمت كثيرا أشهر الأول . فلا بد ان أرسام قد سبق تاريخه بسنة واحدة . وهكذا بات لعقدس اثنيهما تاريخ واحد . وكونه قد أبرح لنفسه النجوى الى ما درجت العادة على اللجوء اليه في كثير من الاحيان في التقارير الشفهية يجعل كل هذه المحاولة التفسيرية باطلّة من الأساس . وهي لا تعدو بالاصل ان تكون ضربا مسن التملص السريع .

لست ادري ان كان عرضي هذا قد ترك اثرا في القساري وحمله على الاهتمام بهذه المعامل . ونقد كان يخيل الي انه من المسنحيل اعادة وضع الامور في نصابها على نحو لا ريب فيه . لكنني توصلت ، وانا ادرس هذه القضية المختلطة . الى افتراض من شأنه ان يهدينا بصورة طبيعية تماما الى الكيفية التي حدثت بها الامور ، حتى وان تكن الشهادات المكتوبة لا تتفق البتة وإياها . فانا اعتقد انه حين قدم الرسام الى ماريازل للمرة الأولى له يتكلم الا عن عهد واحد : حرار بالدم بحسب ما كان متبعا ، وكان مفروضا به ان يستحق اجله قريبا ، فهو بالثاني قد عقد فسي ايلول ١٦٦٨ ، تماما كما جاء القول في رسالة التوصية انصادرة عن الخوري . وفي ماريازل أبرز ايضا عهد الدم هذا بوصفه العهد الذي اعاده اليه اليبس نارغام من الام اغديسة . ونحن نعم بما حدث بعد ذلك . فرعان ما ندر الرسام المحج وقصد فيينا حيث شعر بالفعل انه قد فرّج عنه الى منتصف تشرين الأول . لكن عندئذ عاودته الآلام والرؤى التي عزاها الى ساسي الشيطان .

في المرار القديس

يشف ، الا يبقى استقبالا حسنا في ماريازل . وتخلصا من هذه الورقة تخيل عبدا ابتدائيا ، سابقا . كتب بالحبر . وذلك كيما يبدو معقولاً ان هذا العهد قد طغى عنه في الائمة عيد آخر . لاحق . حوز بالدم . وادى عودته الى ماريازل استرد هذا العهد الاول المزعوم . وعندئذ تحرر حفا من الشيطان . لكنه فعل في الوقت نفسه شيئا آخر .

فالشئ المؤكد انه في اناء هذه الاقامة الثانية في ماريازل انجز الرسوم : فصفحة العنوان . المرسومة دفعة واحدة . تشتمل على تمثيل مشهدي العهد . ومن الممكن ان يكون الرسام قد عانى حرجا شديدا في محاولته التوفيق بين نصريحاته الجديدة والسابقة . ولقد كان من سوء حظه انه ما وسعه ان يتخيل سوى عيد سبق لا عهد لاحق . فبذلك ما عاد يملك رسعا ان يحول دون حصول الإشكال المخرج : اسرداده في وقت مبكر اكثر مما ينبغي احد العهدين . العهد المكتوب بحروف من دم افي السنة الثامنة . واسرداده الثاني . المحرر بحروف سود . في وقت متأخر اكثر مما ينبغي افي السنة العاشرة . ونمة فربته نبي عن تحريره على دفتين ؛ فقد اخط في تاريخ العهدين وجعل تاريخ العهد الاول في سنة ١٦٦٩ ايضا . وبذا الحط مدلول صراحة غير مفسودة : وهو يتبع لنا ان نحرر ان العهد السابق المزعوم جعل استحقاقه لاجل ابعد . وله يكن امام الناسخ مناسب . وهو الذي لم يطلع على الموضوع الا في سنة ١٧١٤ . بل ربما في سنة ١٧٢٩ . من ان يذل نصراة لواراد هذه الساقضات بفسد الامكان ؛ على ما لها من اهمية . وبما ان عهدين اللذين كانا امامه كانا يحملان كلاهما تاريخ ١٦٦٩ . فقد حاول التملص من الورطة عن طريق محاولة التفسير المبافنة التي ادرجها في شياادة رئيس الدين .

وبسير على الفاريء ان يدرك اين وجه الضعف في اعادتنا

المغرية هذه لما جريات القصة . فذكر العهدين . اللذين واحدهما بالاسود وثانيهما بالدم الاحمر ، قد ورد في شهادة رئيس الدير فرانسيسكوس . ومن ثم كان لي ان اختار بين واحد بين اثنين : إما الافتراض بن الناسخ قد اجري تعديلا ما في هذه الشهادة . وهذا بالارتباط الوثيق مع مسعاه التديسي . وإما الاعتراف بأنني نست اهلا للاهداء الى خيط الحقيقة في هذه البلبنة (٤٢) .

٤٢ - يدخل الي ان الناسخ وجد نفسه محصورا بين نقطتين ثابتين . فمن جهة اولى وجد رساله الموسية الصادره من الحورى وشهادة رئيس الدير نصال كئاهما على ان العهد اعلى من حال الاول . قد نسب في سنة ١٦٦٨ : ومن الجهة الثانية كان العهدان ، المعروض في محفوظات الدير . حملتا كئاهما تاريخ ١٦٦٩ . وما انه كان امام عبيبه عهدان . فقد داخله اعتقاد راسخ بأن ثمة عهدين قد جرى تحريرهما . وليس انه يرد ذكر في شهادة رئيس الدير . عند اقتراض انا . الا العهد واحد . فقد وجد الناسخ منه مرهما على ان عهد من عهود الشهادة ذكر العهد الثاني ، ونصا من الناقض افترض ان هذا الاخير قد سبق تاريخه . والتعبير الذي احده في النص يأتي مياصرة بعد الاضافة التي ما كان لاحد سواء ان يدسها على النص . وتعدا وجد نفسه مكررا على ان يدمع بصارده بين الاساقفة التي اساقفها على

#### Sequenti Vero Anno 1669

النص وبين التعديل الذي اجراه فيه . لان الرسام كان قد نسب حريح العبارة في الشرح المرافق الضرورة ، والذي احق به تلف شديد) :

عهد سنة واحدة ...

معرض لهديد شديد ...

الصورة رقم ٢ ، واضطر ...

الى التوقيع بالدم ...

واللهما اثنين لركبة الرسام حين عهد العهدين . والذي ارغمني على القيام هذه المحاولات التفسيرية ، لا يبدو لي ان اول انارة الاعظام من عهده بهسيهما.



ولا ريب في ان كل هذه المناقشة قد بدت للقارىء منذ زمن غير يسير فائضة عن الحاجة . مثلما بدت له التفاصيل المدروسة واهنة الفائدة . لكن الامر يتلبس اهمية جديدة عندما نتابعه في اتجاه معين .

قلت توأ ، بصدد الرسام ، انه تخيل . وقد باغنه مسمار مرضه بما يكره . عهدا سابقا (العهد المكتوب بالحبر) ليتمكن من تبرير موقفه لدى رهبان ماريازل . والحال اني اكتب برسم قراء لا يؤمنون بابليس ، وان كانوا يؤمنون بالتحليل النفسي ، ومن ثم فانهم قد ينكرون علي سخافة توجيه مثل هذا النوم الى ذلك الرسام المسكين الذي تمنعته رسالة اتوصية اصلا بـ «الرجل البائس» . فالعهد المكتوب بالدم كان ولا بد خياليا ، مثله مثل العهد السابق المرعوم المكتوب بالحبر . وواقع الحال انه لم يظهر له اي شيطان . وكل العهد مع ابليس لم يكن له من وجود الا في مخيلته . وانا اوافق على ذلك ، وليس لاحد ان ينكر على ذلك المسكين الحق في تكملة استيhamه ابدائي بآخر لاحق ، متى ما بدا ان الظروف المستجدة تستوجب ذلك .

لكن هنا ايضا لا بد لنا ان نرى الى ابعاد . فانعهدان ليس ، بالفعل من استيhamه نظير رؤى الشيطان ؛ بسبل كانا وثيقتين محفوظتين ، بحسب توكيد الناسخ ، وبحسب شهادة رئيس الدير كيليان لاحقا ، في محفوظات ماريازل ، وكان بوسع جميع الناس رؤيتهما ولمسهما . يواجينا اذن هنا إحراج . فإما ان نسلم بأن الرسام اختلق بنفسه في الوقت المرام ، وعند احتياجه اليهما ، الصكين اللذين اعيدا اليه على ما قيل لنا بشفاعة ربانية ، وإما ان نعتبر السادة رهبان ماريازل وسان لامبير غير اهمل للتصديق رغم كل التوكيدات الرسمية وشهادات الشهود المختومة بالاختام ، الخ . واني لاقر بأنه ما كان لي الا بمشقة وعسر ان اشتبه في الرهبان . صحيح اني اميل ائى التمليم بأن الناسخ اجرى بعض التزوير في شهادة رئيس الدير الاول حرصا

منه على توافق النصوص ؛ لكن هذا «العمل الانشائي الثانوي» لا يتعدى حدود الفعال المشابهة للمؤرخين المحدثين والعلمانيين ، وقد فعل على كل حال عن خوص بية . ولقد استاهل ابرهبان في ظروف اخرى حقاً مبرراً في ان نمحضهم ثقتنا . وقد اسلفت القول انه ما كان بمة ما يمنهم من حذف الروايات المتعلقة بالشفاء غير الكامل وبمواصلة الشيطان تجاربه . كذلك فسان وصف مشهد التعزيم في المزار ، الذي كان من الممكن ان نخوف من السطط فيه . مروى ببساطة واعندال وبظاهر من الحق . لذا لا يبقى امامنا الا ان نوجه اصبع الاتهام الى الرسام . فقد كان هذا الاخير يحمل معه ولا بد العيد المكتوب بحروف حمر حين قصد المزار لأداء فعل توبته فيه . وقد ابرزه حين اراد نحو اليهود من الرهبان بعد لفاته ببليس . وما من ضرورة تقضي ايضاً بأن يكون هذا الصك هو عينه الذي جرى الاحتفاظ به لاحقاً في المحفوظات؛ وبحسب اعادة بنائنا للقصة فان هذا الصك الاول كان يمكن ان يكون حاملاً لتاريخ ١٦٦٨ (قبل تسع سنوات من مشهد التعزيم).

- ٥ -

## العصاب اللاحق

لكن كل ما تقدم لن يعدو في هذه الحال ان يكون ضرباً من الغش ، لا من العصاب ؛ كما لن يعدو الرسام ان يكون مسزوراً ومظاهراً . لا مموساً ؛ بيد ان الحدود بين العصاب والتظاهر، كما هو معلوم . عائمة . وانا لا اجد اي صعوبة ايضاً في التسليم بأن الرسام كتب وحمل ذلك الصك ، والوثائق التي تلتها ، وهو في حالة خاصة شبيهة بحالة رؤاه . وبالفعل . ما كان له ان يسلك

غير هذا المسلك اذا شاء ان يجعل لتخليسه العهد مع الشيطان ثم الخلاص منه اساسا من الواقع .

وبالمقابل ، فان اليوميات التي حررها في فيينا ، والنسي سلمها للرهبان عند نزوله للمرة الثانية في ماريازل ، تحمل طابع الصدق والحقيقة . وتتيح لنا هذه الوثيقة ان نلقي نظرة عميقة ونافذة على حافز العصاب ، او بتعبير ادق على تسميره واستغلاله . تمت التعليقات من زمن التعزيم الذي حقق هدفه الى يوم ١٥ كانون الثاني من السنة التالية ١٦٧٨ . وحتى الحادي عشر من تشرين الاول عاش الرسام بأحسن حال في فيينا ، حيث اقام لدى اخت متزوجة ، ولكن منذئذ عاودته ثانية حالات مرضية جديدة ، واكتبها رؤى وتشنجات وإغماءات واحساسات مؤلمة ، مما اوجب عودته الى ماريازل في ايار ١٦٧٨ .

ينقسم هذا السرد الجديد للامه الى ثلاث مراحل . فقد نجلت له التجربة اولا في شكل فارس حسن اللبس حاول اقتناعه بأن يرمي الصك الذي يشهد على قبوله في رهبانية اخوة سان روزير . وازاء المقاومة التي ابداهها عاود الشبح نفسه ظهوره في اليوم التالي ، لكن هذه المرة في قاعة رائعة الزخرفة تفسص بالراقصين من النبلاء وجماليات النساء . وعرض عليه نفس الفارس الذي كان قد حاول تجربته مقترحات ذات صلة بالرسم (٤٤) ووعده بالمقابل بمبلغ كبير من المال . وبعد ان افلح ، بتلاوته الصلوات ، في تبديد هذه الرؤيا ، تجددت بعد بضعة ايام في شكل اشد تأثيرا ايضا . فقد بعث اليه الفارس هذه المرة بواحدة من اجمل النساء ممن كن جالسات الى مائدة الوليمة ، لكي تصطحبه معها الى معشر الطبقة الراقية ، وكان عليه ان يجاهد نفسه حتى يتقي شر اغرائها . لكن الرؤيا التالية كانت اشد وقعا

---

٤٤ - لم اتمكن من فهم هذا المقطع .

في النفس ايضا . وكان المشهد في قاعة اعظم فخامة «ينتصب فيها عرش من الذهب» . وكان يصطف حول العرش فرسان ينتظرون قدوم ملكهم . واقترب الشخص عينه الذي كان اولاه عنايته في اكثر المرات السابقة ودعاه الى ارتقاء العرش لانهم يريدون ان يتخذوه ملكا عليهم وان يجثوا قدره الى ابد الابدین» . وبهذا التوسيع للاستيهام ينتهي هذا الطور الاول والعظيم الشفافية من قصة التجربة .

وكان لا بد ان يعقب ذلك رد فعل . فاذا بكفة الزهد والورع ترجع . ففي العشرين من تشرين الاول ظهرت للرسام هالة عظيمة ، وخرج منها صوت زعم انه صوت المسيح . وحثه على انزوف عن العالم وعلى نذر نفسه لخدمة الرب في الصحراء نست سنوات . وقد عانى على ما هو باد للعيان من هذه الرؤى القدسية اكثر بكثير مما عانى من الرؤى الشيطانية التي سبقتها . ولم يفق من هذه التوبة الا بعد مرور ساعتين ونصف ساعة . وفي الرؤيا التالية ابدى الشخص القديس . المحاط بهالة ، قدرا اقل من الرفق والحسن . وتوعد ارسام وهدده لانه لم يعجل العرض الالهى ، واقتاده الى الجحيم ليثب الخوف في قلبه بمرأى مال الملعونين . والظاهر ان التهديد لم يجد فتىلا ، لان ظهسورات الشخص المشع . والمفروض فيه انه هو المسيح . تكررت وتسببت له في غيبوبات وانخطافات تدوم واحدها عدة ساعات . وفي اعظم هذه الانخطافات اقتاد الشخص البهي الطلعة الرسام فسي باذى الامر الى مدينة بنماطى الناس في شوارعها جميع افعال الجهالة واخلالة ، ثم اقتاده بعد ذلك . وعلى سبيل التضاد ، الى مرج جميل يحيا فيه النساك حياة ورعة ويتلقون شهادات ملموسة على نعمة الله وعنايته الربانية . وتظهر بعد ذلك ، وبدلا من المسيح ، الام القديسة بنفسها لتحت المريض . باسم العون الذي بذلته له آنفا ، على الانصياع لطلب ابنها الحبيب . ولما لم

يبرم امره كما ينبغي» عاود المسيح ظهوره في اليوم التالي والحف عليه إحافا شديدا . قارنا الوعد بالوعيد . وفي النهاية رضخ . وعزم على هجران العالم ، وعلى فعل ما هو منتظر منه . ووضع هذا القرار حدا للطور الثاني . ولاحظ الرسام ابتداء من تلك اللحظة انه لم يعد عرضة للرؤى والتجارب .

غير ان هذا القرار لم يكن حازما جدا على ما يظهر . او انه ارجأ تنفيذه اكثر مما ينبغي ، اذ فيما كان الرسام يصلي ويتهدد في كنيسة سان اتيين ، في السادس والعشرين من كانون الاول ، وقع نظره على امرأة صبوية مشيقة القند تسير برفقة نبيل جميل اللبس ، فما استطاع ان يرد . عنه فكرة انه كان يوسعه ان يكون محل هذا النبيل . وكان هذا الخاطر يستوجب العقاب ، فاذا به ، في مساء اليوم نفسه ، وكان صاعقة قد صعقته : فرأى نفسه محاصرا بالسنة النار وغاب عن الوجود . وبذلت جهود مفضية لارجاعه الى الوعي ، لكنه ظل يتدحرج فوق ارض الغرفة الى ان تدفق الدم من انفه وفمه ، واحس بأنه يسبح في العرق والاقذار ، وسمع صوتا ينبئه بأن هذه الحالة قد حلت به عقابا له على افكاره الباطلة والعابثة . وفي وقت لاحق ساطت عليه الارواح الشريرة بالحبال ، وانذرت له بأنه سيلقى يوما نظير هذا العذاب ، الى ان يقر قراره على الانتساب الى رهبانية نسكية . وقد دامت هذه الاحداث الى يوم ١٣ كانون الثاني ، وهو التاريخ الذي تقف عنده اليوميات .

واضح للعيان اذن كيف ان الاستيهامات الاغرائية لسدى رسامنا اليائس تتحول اولا الى استيهامات زهدية ، ثم الى استيهامات عقابية . ونحن نعرف مقدما نهاية قصة عذاباته . فقد قصد في شهر ايار ماريازل حيث اعترف بأنه عقد عهدا سابقا ، محررا بالبحر الاسود ، واعرب عن اعتقاده بأن هذا العهد هو مصدر العذابات الجديدة التي ينزلها به ابليس . وكان له ما اراد : فقد أعيد اليه العهد وكتب له الشفاء .

وفي اثناء اقامته الثانية هذه في ماريازل رسم الصور  
المسوخة في التذكار : وفعل في الوقت نفسه شيئا يمشى  
ومتطلبات الطور الزهدي من يومياته . فبدلا من ان يقصد  
الصحراء لينتسك . انتسب الى رهبانية اخوة الرافسة :  
Religiosus Factus Est (٤٥) .

تتيح لنا مطالعة اليوميات ان نفهم جانبا جديدا في كل هذه  
القصة . فنحن نذكر ولا ريب ان الرسام نذر نفسه للشيطان لانه  
شق عليه غداه و فاء والده - وقد اخذ منه التبرم كل ماخذ ويات  
عاجزا عن العمل - ان يتدبر امر معاشه . والحال ان هذه العوامل ،  
من هبوط وكف عن العمل وحداد على الاب ، مترابطة بعضها  
ببعض بكيفية ما ؛ بسيطة او معقدة . وامل الشيطان ما ظهر له  
تكرارا وهو محبو بالانداء الكبيرة الا لانه كان يفترض ببليس ان  
يفدو اياه الموضع . بيد ان هذا الامل لم يتحقق ؛ وظل الفشل في  
كل شيء حليفه ، وما امكنه ان يعمل كما ينبغي او لعل الحظ لم  
يحالفه ولم يلق عملا بكفيه اوده . ورسالة التوصية الصادرة عن  
الخوري تقول عنه : «رجل بانس ليس له من معين» . وعليه ؛ لم  
يكن الرسام في حال من العوز المعنوي فحسب ، بل كان يعاني  
ايضا العوز المادي . ونلقى في ثنايا نصرة رؤاه الاخيرة ملاحظات  
تدل ، مثلها مثل مضمون المشاهد التي يشاهدها ، على انه لم  
يتغير شيء ، رغم نجاح التعزيم الاول . نحن اذن امام رجل لا يفلح  
في شيء ؛ ولهذا السبب لا يحضه احد لثقتة . ففي الرؤية الاولى  
يسأله الفارس عما سيفعله ؛ ما دام احد لا يهتم به : «ما دام  
الجميع قد تخلوا عني ، فما بوسمي ان افعله؟» . والمجموعة  
الاولى من الرؤى في فيينا تتفق تماما مع الاستيهامات الرغبةية

لإنسان فقير ، جائع الى المذات والمباهج . بأئس : قاعات عظيمة . اطيب من الطعام ، آنية من فضة ، نساء جميلات ؛ وهنا تحديدا نلتقي ما كنا افتقدناه حتى الان في العلاقات مع الشيطان . فقبلئذ كانت تسيطر على المريض سويداء تحول بينه وبين اية متعة ونقصره على رفض اشد العروض اغراء . ويبدو ان هذه السويداء قد امكن التعلب عليها بعد التعزيم ، فدبت الحياة من جديد في جميع المضامع والشهوات الدنيوية .

في واحدة من الرؤى الزهدية يتسكى الشخص الذي يأخذ بيده (المسيح) من ان احدا لا يريد ان يصدقه . مما يمنعه من تنفيذ ما يؤمر به . ولسوء الحظ ان الجواب الذي يلقاه يبقى مستغلقا فهمه علينا . «لا احد يريد تصديقي ؛ لكن ما حدث اعلمه حق اللبم . غير انه يتعذر عليّ انا نفسي الافصاح عنه» . وتضيء القصة بعد ذلك بضوء باهر حينما يقماده دليله الالهي الى مقام الناسك : اذ يصل الى مغارة يقيم فيها شيخ طاعن في السن منذ ستين سنة ، ويعلم من الاجوبة التي يلقاها عن اسئلته ان هذا الشيخ تطعمه يوميا ملائكة الرب . ثم يرى بأم عينه ملاكا يحمل القوت للشيخ : «ثلاث قصعات من الطعام وخبز وقطعة لحم وشراب» . وبعد ان يأكل الناسك حتى الشبع ، يجمع الملاك بقايا الطعام ويذهب بها . وسهل علينا ان ندرك ما الاغراءات التي يمكن ان تقدمها هذه الرؤى التفوية : فعاقبتها المحنمة ان تحصل المريض على اختيار طراز في العيش لا يعاني فيه هموم الماكل . وجديرة بالملاحظة ايضا كلمات المسيح في آخر الرؤى . فبعد تبديده اياه بأنه اذا لم يمثل فسيقع شيء يرغمه . هو وسائر الناس ، على الايمان . ينقل الرسام كلمات المسيح : «ليس لي ان اهتم للناس ؛ فحتى لو اضطهدوني او لم اطلق منهم اي عوز . فلن تخلي اله عني» .

انذ كان كرم هاليزمن فذلا . احبنا اننا انما كلفنا كذا  
له . سبلا العزوف عن عالم الجباله هذا . غير انه فعل ذلك

خاتمة المطاف بسبب ما كان فيه من إملاق . انتسب الى رهبانية ،  
فانتهى بذلك صراعه الداخلي وبؤسه المادي على حد سواء .  
وتنعكس هذه النهاية في عصابه من حيث ان استعادته الصك  
الاول المزعوم تحرره من نوبته ورؤاه . وفي الواقع . كان لكلا  
طوري مرضه الابليسي معنى واحد . اذ لم يكن له من طلب الا  
تأمين معاشه ، المرة الاولى بمساعدة ابليس . وعلى حساب  
خلاص نفسه . وفي المرة الثانية ، لما تخلى عنه ابليس ولم يكن  
امامه مناص من اعزوف عنه . بمساعدة الكنيسة وبتضحيتيه  
بحريته وبمعظم امكانيات التمتع التي تقدمها الحياة . ولعمل  
كر . هائز من كان ببساطة رجلا مسكينا سيء الطالع . ولعله كان  
أخرق او غير كفؤ لتدبر امر نفسه ، ينتمي الى ذلك النمط من  
الناس المعروفين باسم «الرضعاء الدائمين» الذين لا يسعهم ان  
يخرجوا بانفسهم من الوضع السعيد الذي كانوا يرتعون به في  
حضن الام . والذين يفضون حياتهم بكاملها وهم يبحثون عمّن  
يطعمهم وبقيتهم . وهكذا تلفاه في قصة مرضه هذه ينطلق من  
الاب ليعود ادراجه . مروراً بالشیطان ، بديل الاب . الى الآباء  
المقدسین .

قد يبدو هذا العصاب . عند الملاحظة السطحية . وكأنه  
احبولة من احبيل المتعبدة التي يحفل بها جانب بكامله من  
النسراع الخطير . لكن العادي . في سبيل الحياة . وقد لا يكون  
كذلك هو واقع الحال على الدوام . ولكنه كثير التواتر على كل  
حال . وكثيرا ما يختبر المحطلون بالتجربة كم يشق عليهم ان  
مالجوا تاجرا «بدأت تظهر عليه منذ بعض الوقت . بارغم مما  
هو عليه من صحة جيدة ، اعراض عصاب ما» . فالكارثة التي  
يرهص التاجر بانها تتهدده في تجارته يكون من نتائجها الثانوية  
بناء ذلك العصاب ، مما يتيح للمريض الامكانية لإخفاء همومه  
المعاشية الفعلية خلف ستار اعراضه المرضية . وهذا على كل  
حال حل غير مناسب للمرة ، لان العصاب يمتص قوى كان يمكن



استخدامها على نحو انفع واجدى في مواجهة الوضع المحفوف بالمخاطر مواجهة منبصرة .

وفي احوال اخرى اكثر تواترا بما لا يحاسن يكون العصاب اكثر انعزالا واستقلالاً عن هموم الحياة والبناء . والتزاع . الذي عنه ينشأ العصاب . يكون موضوعه إما اهتمامات ليبيدوية خالصة . واما اهتمامات ليبيدوية مقرونة على نحو وثيق للغاية بهموم الحياة والبناء . لكن ديناميه العصاب في الحالات الثلاث واحدة . فالليبيدو المتراكم . الذي لا يسعه ان يجد سبيله الى الاشباع في الواقع . يشق لنفسه . بواسطة الكوس . طريقاً نحو تشبيلات قديمة عبر اللاشعور المكبوت . وما دام الانا يجني فائدة ما من المرض . فانه يسمح للعصاب بالوجود . وان يكن الضرر الاقتصادي الذي يلحق بهذا الانا اكيدا لا ريب فيه .

كذلك . ما كان للوضع المادي المحزن لرسامنا ان يستثير لديه عصاباً شيطانياً لو لم يولد لديه بؤسه حيننا معززا الى ابيه . ولما قبض له ان يحرر من سويدانه ومن ابليس . نشب فيه صراع جديد بين الرغبة الليبيدوية في التمتع بالحياة وبين احساسه بن تدبير امر معاشه يقنضه منه بسند الاتحاح المعزوف والزهد . وقد شعر الرسام - ومن المعيد ان نلاحظ ذلك - شعوراً عميقاً بالروابط التي تربط بين كلا هوري تاريخ الامه . لانه يعزو كلا منهما الى حنق عقده مع السططان . وهو لا يميز على كل حال سمياً فاصلاً بين تأثير الروح الشريرة وتأثير القوى الالهية ؛ وليس لديه كليهما سوى اسم واحد : فثيرات شيطانية .



«العصاب الوسواسي» على الداء الذي تشكو منه (٢) . لكن لا يجوز لنا ان نحاول ان نستق الطابع الاساسي لهذا الداء من اسمه . لانه توجد . حصر المعنى . ظاهرات نفسية مرضية اخرى قابلة لان نلبس ما نسميه بـ «الطابع اتسلطي» . ولا يزال من الضروري في الوقت اراهن ان نعرف معرفة مفصلة بهذه الحالات محل التعرف . على اعتبار اننا لم نفتح حتى الان في استخلاص معيار العصاب الوسواسي . وهو معيار كامن فسي ارجح الظن تحت طبقات بعيدة الغور وان يكن بالامكان استشفاف وجوده في جميع تظاهرات ذلك الداء .

ان قوام الطقس العصبي افعال صغيرة : افعال مضافة او معاقدة او ترتيبات تؤدي . على صعيد افعال الحياد اليومية . بطريقة واحدة على الدوام او بكيفية تتنوع طبقا لقواعد محددة . وتترك هذه النشاطات فينا انطبعا بانها محض «شكليات» ؛ وتبدو لنا عارية من المعنى تماما . وهي لا تظهر بمظهر آخر للمريض ، ومع ذلك يعجز عن عدم القيام بها . لان كل حيدان عن الطقس يعاقب بحصر *Angoisse* لا يطاق . ورغم المهمل على ان يفعل من جديد وبعد فوات الاوان ما كان اغفل فعله . ولا تقل تفاهة عن الافعال الطقسية المناسبات وضروب النشاطات التي تكتنفها الطقوسية فتؤخر تنفيذها . علاوة على انها تجعله اكثر صعوبة ؛ وعلى سبيل المثال فعل ارتداء الثياب وخلعها . فعل الرقود . فعل اشباع الحاجات الجسمانية ؛ الخ . ولعله يسعنا ان نصف الكيفية التي يمارس بها الطقس فيما لو استبدلناه ، نوعا ما . بمجموعة من قوانين غير مكتوبة . فمثلا ، وفيما يخص طقس السرير : ينبغي ان يكون الكرسي في وضع معين امام

---

٢ - انظر لوبنيليد : الظاهرات النفسية الوسواسية ؛ ١٩٠٤ .

السرير . وينبغي طي الألبسة فوقه بطريقة معينة . كما ينبغي ان يكون غطاء السرير مطرزا في اطرافه ؛ ولا بد ان يكون اسرعف مشدودا وبلا تنايا . ومن الواجب صف المخدات بطريقة او بخرى . بل لا بد ان يكون الجسم نفسه في وضعه محددة بدقة ؛ فعندئذ فقط يكون من حق المرء ان يعتقد انى النوم . ونفسى الحالات الخفيفة يبدو الطفس وكأنه مغلاذ بنظام معساد ومبرر . غير ان الوسوسة الضميرية التى يؤدى بها . وانحصر الذى يشب عن الاخلال به . يصفين على الطفس طابع «فعل مقدس» . فكل ما يكره ويتوسسه لا تقبل بتسامح ؛ ومن الواجب ادائه بعزل عن الجمهور . وفى غيبة الاشخاص الآخرين .

ان جميع اشكال النشاط يمكن ان تفدوا فعلا بتسليبه باوسع معنى التكنية . اذا ما ارفقت بفعال صغيرة مضافة وجعل لها ايقاع معين من الوقف والتكرار . وليس لنا ان نتوقع العثور على حد فاصل واضح بين «الطفس» و«الافعال التسلطية» . فالافعال التسلطية تندى في اغلب الاحيان عن طقس ما . ويتألف المرض . علاوة على هاتين الظاهرتين . من موانع ونواد احمسول الارادة ؛ ليس لها من دور فى الواقع الا ان تنابع وظيفة الافعال التسلطية . وذلك من حيث ان بعض الاشياء تحظر على المريض . بينما لا يسمح له ببعضها الآخر الا بشرط مراعاة طقس مقرر مسبقا . ومن المثير للفضول ان نرى الاجبار Compulsion والحظر (وجوب فعل شيء من الاشياء وانعدام الحق فى فعل شيء آخر) على حد سواء لا يطلان فى البداية سوى نشاطات الناس الانفرادية ؛ ولا يتطرقان لاجل طويل من الزمن الى سلوكيات اجتماعي ؛ ولهذا يمكن لاشباه هؤلاء المرضى ان يعالجوا مرضهم على انه مسألة خاصة وان يخفوه ويكتموه لسنين عديدة . وعلى كل ؛ فان عدد الاشخاص الذين يعانون هذه الاشكال من العصاب الوسواسي اكبر بكثير مما يصل انى علم الاطباء . زد على ذلك ان الكثيرين من هؤلاء المرضى يجدون لهذا الكتمان ظرفسا

مساعدًا في كونهم يفلحون في أداء واجباتهم على خير وجه في شطر من النهار بعد ان يكونوا قد كرسوا عدداً معلوماً من الساعات لفعاليهم السرية في خلوة عن سائر الناس .

ويسير علينا ان ندرك ان يكمن وجه التشبيه بين النفس العصابي وبين اشعائر الدينية ذات النصفة المقدسة : في الخوف المنبثق عن الضمير في حال الاهمال . وفي الاجتناب التام لسائر النشاطات (الازعاج ممنوع) . وفي الطابع المدقق والموسوس للتنفيذ . لكن الفروق ايضا بيّنة . وبعضها صارخ الى حد تبدو معه هذه المتشابهة ضرباً من انتهاك القدسيات : التنوع العفليم للافعال السلطوية بالتعارض مع نمطية النفس الديني (الصلاة . السجود . الخ) : والطابع الخاص للاولى بالتعارض مع الطابع العام والجماعي للشعائر الدينية : وعلى الاخص الفارق المتمثل في ان افعال النفس الديني الصغيرة تكون ذات مغزى وقصد رمزي . بينما تبدو افعال انطقس العصابي سدجة وعارضة من المعنى . ويظهر العصاب انوساسي هنا وكذنه صورة كارينكاتورية شبيهة هازلة وشبه مؤسسية ئديانة فردية خاصة . بيد ان هذا الفارق الحاد بين الطقس العصابي والطقس الديني هو بالتحديد الذي يتلاشى حينما نمضى قدما الى الامام في فهم الافعال السلطوية بالاعتماد على تقنية التنقيب التحليلي النفسي (٢) . فهذا التنقيب يتيح لنا ان نضع حدا نهائياً للظاهر الذي يجعلنا نتصور ان الافعال السلطوية بريئة وعارضة من المعنى . كما انه يميظ اللثام عن صدر المصدر الذي يأتي منه هذا الظاهر . وهكذا نتمرس على ان ندرك ان الافعال السلطوية ، جميعها بلا استثناء وبجميع تفاصيلها ،

---

٢ - انظر : فرويد : مجموعة دراسات مقتضبة حول نظرية الاعصاب ،  
فيينا ١٩٠٦ ، الطبعة الثالثة ١٩٢٠ .

مترعة بالمعنى ؛ وانها تخدم اهتمامات اثيرة لدى الشخص المعنى .  
وانها تعبر عن أحداث ذات تأثير دائم وعن افكار مشحونة بوجدانية  
الفرد . وهي تحقق ذلك بطريقتين : بوصفها تمثيلا مباشرا او  
بوصفها تمثيلا رمزيا ؛ فمن المناسب بالتالي تاويلها سريانا (٤)  
او رمزيا .

لزام عليّ هنا ان اسوق بعض الامثلة في تأيد هذه  
الاطروحة . ومن الف النتائج التي ينمخض عنها التقيب التحليلي  
النفسى في الاعصبة النفسية . فلن يدعشه ان يعلم ان ما تمثله  
الافعال التسلطية او الطقسية ينبع من حياة المريض الحميمة ؛  
بله الجنسية .

١ - درست مرة حالة فناة كانت تجد نفسها مدفوعة ؛ بعد  
كل اغسال . الى تدوير الطشت في مكانه . وكان مدلول هذا  
الفعل الطقسى يكمن في القول المأثور : «لا ترم الماء الوسخ قبل  
تأمين ماء نظيف عوضا عنه» .

وكان الهدف من هذا العمل تحذير اختها . التي كانت تحبها  
حبا جما ؛ ومنعها من تطلق زوجها الذي لم يكن مناسبا لها كثيرا  
قبل ان تعرف الى آخر يفضله .

ب - كانت امرأة تعيش منفصلة عن زوجها ؛ وكانت تجد  
نفسها مدفوعة ؛ اثناء تناول وجبات الطعام . الى ان تدع جانبا  
خير القطع . فلا تاكل على سبيل المثال سوى حوافي شريحة اللحم  
المشوي . وتفسر هذا الاستكاف يرتبط باليوم الذي راي فيه  
النور . فقد تظاهر لاول مرة يوم صارحت زوجها بانها ستمتنع  
مذذاك فصاعدا عن العلاقات الزوجية . اي يوم استنكفت عن  
خير ما في الزواج .

ج - كانت المريضة نفسها لا تستطيع في الواقع ان تجلس الا

---

٤ - نسبة الى السيرة او ترجمة الحياة . -م-

على كرسي واحد . وما كانت تقوم عنه الا بعسر ومشقة . وكان الكرسي ، بحسب بعض تفاصيل حياتها الزوجية ، يرمز نسي نظرها الى زوجها الذي بقيت مقيمة على وفائها له . وكانت تفسر بالعبارة التالية إجبارها هذا : «من الصعوبة بمكان الانفصال (عن رجل ، عن كرسي) بعد جلوسي عليه لأول مرة» .

د - اعتادت لحين من الزمن لاض تكرر فعلا تسلطيا غريبا ولامعقولا في انظاره . فقد كانت تجري من غرفتها الى غرفة اخرى كان في وسطها طاولة ، وكانت ترتب على نحو معين البساط المفروش فوق الطاولة ، وتفرغ الجرس للخادمة وتأمرها بالاقتراب من الطاولة ، ثم تصرفها بأمر مغاير . وفي اثناء الجهود التي بذلتها لتفسير إجبارها هذا ، استذكرت ان بساط الطاولة المذكورة ملطخ ببقعة كريمة اللون ، وانها لا ترتب البساط على النحو الذي ترتبه به الا ليقع نظر الخادمة على البقعة . وكان المشهد كله في الحقيقة تكرارا لحدث يتعلق بزواجها . حدث طرح فيما بعد على عقلها معضلة تستوجب حلا . ففي ليلة عرسهما وقع زوجها ضحية حظ عائر ليس بنادر حدوثه . فقد وجد نفسه مصابا بعنة و«ركض عدة مرات في تلك الليلة من غرفته الى غرفتها» ليكرر المحاولة . وفي صبيحة اليوم التالي قال انه سيشعر بالخجل ، ولا بد ، امام خادمة الفندق التي ستقسم بترتيب الاسرة ؛ وعلى الاثر تناول قارورة من الحبر الاحمر وصب محتواها فوق الشرف ، ولكنه فعل ذلك بخرق جعل البقعة الحمراء تنتشر في مكان ليس وثيق الصلة بما رمى اليه . وهكذا صارت تعيد ، بذلك الفعل التسلطي ، تمثيل مشهد ليلة عرسها . وبالفعل : ان «الطاولة والفراش» هما الشيطان اللذان عليهما يعقد الزواج .

هـ - هذه المريضة عينها كانت تبدي ميلا لا يقاوم الى تسجيل رقم كل ورقة نقدية قبل ان تخرج من بين يديها : والحال ان

هذا الإيجار كان بدوره قابلا للتفسير بسيرة حياتنا . فيوم كانت لا تزال تداعب فكرة هجر زوجها في حال عثورها على رجل أجدر منه بثقتها ، سمحت لرجل في احد منتجعات المياه المعدنية بأن يغازلها رغم أنها كانت تشك في جد نيانه . وذات مرة احتاجت الى قطع نقالة صغيرة . فرجته ان يصرف لها قطعة نقدية من ذوات الخمسة الكورونات . ففعل ذلك . ووضع القطعة النقدية الكبيرة في جيبه . وقال برقة حاسية انها لن تغارقه بعد اليوم لانها مرت بين يديها . وفي لقاءات تالية عن لها غير مرة ان تساله ان يربها قطعة الخمسة الكورونات، لتتأكد بنوع ما من مدى مصداقية غزله . لكنها امسكت عن ذلك لسبب بسيط ، وهو انه كسان سيستحيل عليها ان تميز قطعة نقدية من اخرى متساويتين في القيمة . وعلى هذا فان الشك لم يتدد قط ، بل خلف وراءه ميلا اجباريا الى تسجيل ارقام الاوراق النقدية : هذه الارقام التي يفضلها تتميز كل ورقة فرديا عن سائر الاوراق المعادلة لها في القيمة .

هذه الامثلة القليلة . المغتسبة من معين معانياتي الواسع ، لم اسقيا الا تمثيلا على الاطروحة القائلة ان كل شيء في الافعال التسلطية ثرّ بالمعنى وصالح للتأويل . وكذلك الحال فيما يتعلق بانطقس بحصر المعنى ؛ غير ان البرهان على ذلك سيتطلب عرضا اكثر تفصيلا . ثم اني لا اجهل اننا قد ابتعدنا في ظاهر الامر ، بانشغالنا بتوضيح فحوى الافعال التسلطية ، عن دائرة الافكار الدينية .

ان من شروط الحالة المرضية ان يفعل الشخص الخاضع للإيجار ما يفعله من دون ان يعرف مدلوله . وعلى الاقل مدلوله الرئيسي . وجهود المعالجة التحليلية النفسية هي وحدها التي يمكن ان تجعله يعي معنى الفعل التسلطي ، وبالتالي الدوافع التي تحضه عليه . ونحن نعرف هذا الوضع الذي له خطورته بقولنا ان الفعل التسلطي يفيد في الإبانة عن دوافع وتمثلات لاواعية .



ويبدو انه يقوم هنا فارق جديد عن الشعائر الدينية : لكن لا بد لنا ان نتذكر ان الشخص الورع المفرد يمارس بوجه العموم الطقس الديني من دون ان يتساءل عن معناه . بينما يسع الكاهن والمحلل ان يعرفا معنى الطقس هذا - الذي غالبا ما يكون رمزيا . والدوافع التي تحض المؤمنين بالحاح على ممارسة الشعائر الدينية تبقى مجهولة مع ذلك من قبلهم جميعا : او انهم يتمثلونها فسي وعيه في صورة دوافع اخرى تتقدم عليها وتحتل مكانها .

كان تحليل الافعال التسلطية قد اناح لنا ان تلقى نظرة على ابيولوجيا (٥) هذه الافعال وعلى تسلسل الدوافع التي تحض عليها بصورة لا تقاوم . وبوسعنا ان نقول ان من يعاني ضروب الإجبار والنهي يتصرف وكأنه واقع تحت سلطان **احساس بالذنب** . لا يعرف عنه شيئا بالاصل : احساس لاشعوري بالذنب . كما يخلق بنا ان نقول من دون ان نأبه لما بين الالفاظ المقرون بينها على هذا النحو من تصادم . هذا الاحساس بالذنب يكمن مصدره في بعض السيوررات النفسية المبكرة : لكنه يجد عنصر إحياء دائم له في **الإغواء** الذي تجدهه كل مناسبة راهنة . وهو يولد : من جهة اخرى ، **حصرا مترقبا** : انتظارا لمصيبة هي دوما بالمرصاد ، حصرا يربطه مفهوم **القصاص** بالادراك الباطني للإغواء . وحين ينزع طقس من الطقوس الى التأسس والتكون : يكون المريض لا يزال يدرك بوعيه ان عليه ان يفعل هذا الشيء او ذاك ، وإلا فسان مصيبة ما ستقع . وبوجه عام فان نوع المصيبة المتوقعة لا يكون غالبا بعد عن وعيه . لكن العلاقة : الممكن البرهان عليها في كل حالة . بين المناسبة التي يزرع فيها الحصر المترقب وبين العنصر الوعيدي الذي تنطوي عليه تكون من البداية محجوبة عن ادراك

---

٥ - الابيولوجيا : علم الاسباب او محث اسباب المرض . -م-

المريض . وهكذا يكون الطقس في بادئ الامر **فعلا دفاعيا** ، او **تأمينا** ضد شيء ما ، او **تديرا وقائيا** .

وتناظر احساس العصابي الوسواسي بالذنب تصريحات ورعاء الناس حين يؤكدون انهم يعرفون انهم في سريرتهم خطاة كبار ؛ ويبدو ان الممارسات التقوية (الصلوات ، الابتهالات ، النج) لها قيمة تدابير دفاعية ووقائية ، وهي تدابير يستيق بها الورعاء كل نشاط من نشاطات النهار ، وعلى الاخص كل مشروع يخرج عن نطاق المألوف .

ومن الممكن ان نصل الى فهم اعمق لاولية العصاب الوسواسي فيما لو قدرنا بحق قدرها الواقعة الاولية الكامنة في اساسه والمتعلقة دوما في **كبت دافع غريزي** (مركب من مركبات الغريزة الجنسية) ؛ دافع غريزي متواجد من الاساس في جبلة الشخص المعني ، وقد امكن له ان يتظاهر لبرهة من الزمن في حياته الطفلية ، ثم وقع بعد ذلك فريسة للكبت . ومع كبت هذه الغريزة تتولد في الوقت نفسه وسوسة ضميرية مفرطة موجهة ضد اهداف هذه الغريزة . بيد ان هذا التشكيل الارتجاعسي النفسي لا تساوره الثقة بنفسه ، بل يحس بأنه مهدد باستمرار من قبل الغريزة الواقفة له بالمرصاد في اللاشعور . ويكون الاحساس بتأثير الغريزة المكبوتة في شكل تجربة وإغواء ، وفي اثناء سيرورة الكبت بالذات يولد الحصر الذي يستحوذ ، بصفته حصرا مترقبا ، على مضمار المستقبل ، وسيرورة الكبت التي تفضي الى العصاب الوسواسي ينبغي ان تنعت بأنها كبت غير مكتمل النجاح ، كبت يندر بأن يضعف اكثر فاكثر . ومن هنا يجوز تشبيهه بنزاع لا نهاية له ؛ فالجهود النفسية المتجددة باستمرار ضرورية كيما يقوم التوازن في مواجهة ضغوط الغريزة الدائمة . هكذا تولد الافعال الطقسية والتلطية ، من جهة اولى ، كمقاومة للتجربة والاعواء ، ومن الجهة الثانية كحماية من مصيبة منتظرة . لكن سرعان ما يتضح ان افعال الحماية ضد

التجربة والإغواء ليست كافية ، فتظهر عندئذ الى حيز الوجود النواهي التي يفترض فيها ان تبعدنا عن الموقف الذي قد نتعرض فيه للتجربة . وكما نرى ، فان النواهي تحل محل الافعال التسلطية ، مثلما ان هدف الرهاب Phobie تلافى حتمية نوبة هستيرية . ومن جهة اخرى ، يمثل الطقس جملة الشروط التي تبقى فيها اشياء اخرى - غير محرمة بعد تحريما باتا - مسموحا بها ؛ تماما كما ان معنى طقس الزواج الديني السماح للشخص الورع بالمتعة الجنسية ، اللطخة في غير هذه الحال بالخطيئة . ومن الصفات الاخرى للعصاب الوسواسي ، مثله مثل سائر الاصابات المماثلة ، ان تظاهراته (اعراضه التي منها الافعال التسلطية) ، تمثل تسوية بين القوى النفسية المتصارعة . وهكذا تسيطر الاعراض اللثام من جديد عن قدر من اللذة التي يفترض فيها ان تحول دونها ، وتضع نفسها في خدمة الفريزة المكبوتة كما في خدمة السلطة الكابتة . بل ان الافعال التسلطية ، التي كانت تفيد في الاصل في الدفاع بالاحرى ، تغدو مشابهة اكثر فاكثر ، مع تقدم المرض ، للاعمال المدانة التي بها كانت تتظاهر الفريزة في الطفولة .

وبوسعنا ان نهتدي الى بعض اثر هذه العلاقات في مضمار الحياة الدينية : فقمع بعض الدوافع الفريزية ونكرانها يبدو انه الاساس الذي قام عليه الدين ايضا ؛ غير ان المقومات هنا ليست جنسية خالصة كما في العصاب ، وانما هي غرائز انانية ، ضارة بالمجتمع ؛ علما بان المساهمة الجنسية فيها ليست في اغلب الاحيان مستبعدة . ولقد اعتدنا ان نعزو الشعور بالذنب المنبثق عن إغواء لا تنطفيء جذوته ابدا ، والحصر المترقب في شكل خوف من القصاص الالهي ، اعتدنا ان نعزوهما الى مضمار الدين قبل ان نعزوهما الى مضمار العصاب . ويبقى قمع الغرائز في مضمار الحياة الدينية ناقصا وغير مكتمل ابدا ، ربما بسبب

المفومات الجنسية المختلطة بها . وربما بحكم الصفات العامة للفريرة . بل ان الانتكاسات الشاملة والعودة الى ارتكاب الخطيئة اكثر تواترا لدى الشخص الورع مما لدى الشخص المعصوب . وهي تشترط نوعا جديدا من النشاطات الدينية : افعال الندامة والتوبة التي لا يعسر علينا ان نجد نظائر لها في العصاب اوسواسي .

لقد رأينا ان للعصاب الوسواسي سمة خاصة ومنحطة تتمثل في ارتباط الطقس بالافعال الصغيرة للحياة اليومية وتظاهره في شكل تعليمات وتقييدات صبيانية . وليس لنا ان نفهم هذه الخاصة اللافتة للنظر من خواص بنية اللوحة الانريزية ما لم ندرك ان اوالية **النقل** النفسي ، التي اكتشفها اول الامر فسي تكوين الحلم . تسيطر على السيرورات النفسية للعصاب الوسواسي . ولا يعسر علينا ان نرى ، من خلال الامثلة القليلة التي ضربتها على الافعال التسلطية : كيف ان رمزية تنفيذ الفعل وتفاصيل هذا التنفيذ تنبني وفق اوالية نقل مما هو اصيل وهام الى شيء حقير واستبدالي ، كالنقل على سبيل المثال من رجل الى كرسي . وهذا الميل الى النقل هو الذي يدخل المزيد من التعديل على الدوام على لوحة المظاهر المرضية ، فيجعل من انفه الاشياء اهمها واكثرها إحاحا اطلاقا . ونيس يسعنا ان نتجاهل وجود ميل مشابه الى نقل القيمة النفسية في المضمار الديني ، وفي الحقيقة ضمن الاتجاه نفسه ، بحيث ان الممارسة الطقسية الثانوية الاهمية للشعائر الدينية تغدو شيئا فشيئا هي الاساسية بعد تنحية مضمونها التصوري جانبا . ولهذا تتعرض الاديان لهزات من الاصلاحات الرامية الى اعادة توطيد العلاقة الاصلية للقيم .

ان طابع التسوية الذي تنسم به الافعال التسلطية بصفقتها اعراضا عصابية هو عينه الذي لا يميز الا بأقل الوضوح فسي الافعال الدينية المناظرة لها . ومع ذلك فان ثمة شيئا ما بذكرنا

بسمة العصاب هذه حينما نرى بأمر عيننا كيف ان جميع الافعال التي يشجبها الدين - تظاهرات الفرائز المكبوحه من قبل الدين - تفعل باسمه في كثير من الاحيان ولصالحه على ما يقال .

بحكم هذه التوافقات وهذه التشابهات ، قد يكون جائزا لنا على ما في ذلك من مجازفة ، ان نتصور العصاب انوساسي على انه نظير مرضى لتشاكل الاديان . وان نصف العصاب بأنه تدين فردي ، والدين بأنه عصاب وسواسي عام . والتوافق الجوهرى يكمن من هذا المنظور في الاستنكاف عن ممارسة الفرائز الداخلة في تكوين الانسان وجيلته ، كما يكمن الفارق الاساسي في طبيعة هذه الفرائز التي تكون في العصاب من اصل جنسى صرف . وفي الدين من طبيعة انوية ايضا .

ان الاستنكاف التدرجي عن الفرائز المكونة لجبلة الانسان ، والتي قد توفر ممارستها لذة اولية لنا ، هو على ما يبدو واحد من أسس تطور البشر الحضاري . وتتولى الاديان انجاز شطر من هذا الكبت للفرائز ، اذ تحض الفرد على التضحية بملذاته الغريزية وتقديمها قربانا للاله . يقول الرب : «لي النعمة والجزاء» (٦) . وبدلنا تطور الاديان القديمة ، بحسب ما يترأى لنا ، على ان الكثير من «الانام» التي عزف عنها الانسان قد «حوّلت» الى الله ، وكانت لا تزال مباحة باسمه ، بحيث ان التنازل والتحويل للاله كان الوسيلة التي بها يتحرر الانسان من سلطان غرائزه الشريرة والضارة بالمجتمع . وعليه ، ليس من قبيل المصادفة ان تكون جميع الخصائص البشرية - مع ما يتفرع منها من اعمال شريرة - قد عزيت الى الالهة القديمة بغير ما حدود ، كما لم يكن ضربا من التناقض مع ذلك الا يؤذن للانسان بتبرير آثامه بالمثال الالهى .

## موازيات ميتولوجية

### أتمثل وهو اسم تشكيلي (١)

ان منتجات النشاط التفكيري اللاعموري لدى واحد من مرضاي - وهو في حوالي الحادية والعشرين من العمر - لا تنظاهر للوعي في شكل افكار وسواسية فحسب ، بل ايضا في شكل صور وسواسية . وقد تنبثق الافكار والصور معا او قد تظهر مستقلة بعضها عن بعض . ولدى هذا المريض كانت كلمة وسواسية بعينها وصورة وسواسية بعينها تترددان في خاطره بترباط وثيق لردح من الزمن كلما شاهد اباه يدلف الى الغرفة .

---

١ - ظهر هذا المقال لأول مرة في المجلة الدولية للتحليل النفسي الطبي ،

فاما الكلمة فكانت Vaterarsch (٢) ؛ واما الصورة التسي كانت تصاحب هذه الكلمة فتمثل الاب في شكل القسم السفلي من جسم عار ، محبو بذراعين وساقين ، وناقص منه الراس والقسم العلوي من الجسم . وما كانت الاعضاء التناسلية بظاهرة ، بل كانت معالم الوجه مرسومة على البطن .

واذا اردنا تفسير مثل هذا العراض النادر في لامعقوليته وخلفه ، فلا بد ان نأخذ في اعتبارنا ان ذلك الفتى ، المكتمل اصلا تطوره العقلي والمفعم اخلاقيا بصبوات سامية ، كان قد تعاطى حتى السنة العاشرة من عمره ممارسات ايروسية شرجية نشطة ومتعددة الاشكال . وبعد ان تغلب على هذا الطور ، ارتدت حياته الجنسية الى ذلك الطور الاول بفعل الصراع اللاحق الذي خاض غماره ضد الايروسية التناسلية . وكان يحب اباه ويجلته كثيرا ، وكان يخشاه ايضا الى حد ما . لكن اباه كان يبدو في نظريه ، وبالقياس الى المثل الاعلى الذي جعل نصب عينيه ان يدركه : الزهد وقمع الفرائز ، ممثل الشطط والشيق والنهم الى المتع المادية .

وسرعان ما اتضح ان كلمة Vaterarsch هي ترجمة المانية مأكرة للقب «البطريق» (٢) النبيل ، وان الصورة الوسواسية مستقاة من رسم كاريكاتوري مشهور . وهذه الصورة تستحضر الى ذهننا للحال تمثيلات اخرى تستبدل . بقصد الازلال والمهانة ، تمام الشخص بعضو واحد من أعضائه ، وعلى سبيل المثال عضوه

---

٢ - كلمة تصير ترجمتها الى العربية . ومعناها الاقرب : الاست الابوية .

- ٤ -

٣ - البطريق Patriarche : لقب نبوغ أسباط بني اسرائيل ، ولقب كبير الاشراف عند الرومان ، ولقب كبير الاساقفة عند المسيحيين الشرقيين ، وهي تعني اشتقاقا الاب . -م-

التناسلي : او استيهامات لاشعورية تفضي الى تماهي الكائن بتعامه بأعضائه التناسلية : او تعابير طريفة كقولنا : «انا كلي أذان» .

لقد بدا لي رسم قسمت الوجه على بطن الصورة الكاريكاتورية مستغربا جدا في بادئ الامر . لكن سرعان ما تذكرت ان ناظري وقما على شيء من هذا القبيل في الرسوم الكاريكاتورية الفرنسية (٤) . ثم شاءت المصادفة ان تقع تحت يدي صورة من العصور القديمة تطابق بدقة صورة مريضى الوسواسية .

فبمقتضى الميتولوجيا الاغريقية . قدمت ديميتريا (٥) الى ايلوزيس (٦) بحثا عن ابنتها المخطوفة . فاستقبلها ديزولس وزوجته بوبو . لكنها عافت الطعام والشراب لشدة حزنها . فرفعت عندئذ مضيفتها بوبو طرف رداؤها فجأة وكشفت عن بطنها . وارغمتها بذلك على الضحك . ومناقشة هذه النادرة . التي يفترض فيها في أرجح الظن ان تقدم تفسيراً لطفس سحري لم يعد اليوم مفهوماً ، موجودة في المجلد الرابع من كتاب سالومون ريناخ : **المبادات والاساطير والاديان** (١٩١٢) . وقد جاء في هذا الكتاب ايضا انه اكتشف في حفريات بريينا (٧) ، في آسيا

- 
- ٤ - انظر : «البيون اللامحتمه» ، رسم كاريكاتورى لجان فير لائلرا في سنة ١٩٠١ في كتاب ادوار فوكس : **العصر البروسي في الكاريكاتور** ، ١٩٠٤ . البيون هو الاسم القديم والشعري لبريطانيا . ومعنى البيضاء . -م-
  - ٥ - ديميتريا : إلهة الزراعة والارض لدى الاغريق . وابنتها كورا احدتها بايون . ملك العالم السفلي . وبروجيا واناسها ملكة . -م-
  - ٦ - اليزيس : مدينة الخريفية كان فيها معبد مشهور يحفل فيه بأمرار اليزيس . -م-
  - ٧ - بريينا : مدينة ابوتيه قديمة في آسيا الصغرى . -م-



الصفري؛ آجر مشوي يمثل بوبو . وهو عبارة عن جسم امرأة بلا رأس ولا صدر . وعلى بطنه رسم وجه : والرداء المرفوع يحيط بهذا الوجه وكأنه اكليل من الشعر (أ) .

---

أ - سالومون ريناخ : المصدر المذكور أعلاه ، ص ١١٧ .

## حدث من الحياة الدينية (١)

في خريف عام ١٩٢٧ نشر صحفي جرمني - اميركي (غ.س. فييرك) - وكنت قد سعدت بمقابلته - نص الحادثة التي دارت بيننا والتي تطرقت الى ضعف ايماني الديني ولامبالاتي بالحياة بعد الموت . وقد قرئت هذه الحادثة المزعومة على نطاق واسع ، وعادت عليّ ، في ما عادت، بالرسالة التالية من طبيب اميركي :  
«... اكثر ما اثر فيّ كان ردك على هذا السؤال : هل تؤمن ببقاء الشخص بعد الموت ؟ وقد اجبت : «هذا عندي سواء» .  
«انني اكتب اليك اليوم لأطلعك على حادثة جرت لي فسي السنة التي كنت انهي فيها دروسي الطبية في جامعة س...  
كنت في عصر احد الايام في قاعة التشريح حين جاؤوا بجثة امرأة عجوز ووضعوها على احدى طاولات التشريح . كان وجه تلك المرأة

---

١ - ظهر هذا المقال لأول مرة في مجلة ايمانو ، الجلد ١٤ ، ١٩٢٨ ، ص ٢-٣-

في غيبة من الوداعة والروعة ( Woman ) This Sweet  
مما ترك في انطباعنا آمرا . وخطرت  
الفكرة الثالثة : كلا ، لا وجود لله ؛ فلو  
يسوق هذه المراد العجوز انطوية ( This Dear Old Man )  
الى قاعة التشريح .

« في اثناء اوبتي في عصر ذلك اليوم اتي انجذت . تحت  
تأثير المشهد الذي رآته في قاعة التشريح ارا بلا اضع قدمي  
في كنيسة بعد ذلك اليوم ابدا . وكانت  
مذاهب المسيحية .

« لكن فيما كنت لا ازال اعيش تحري ذلك كله ، طفق صوت  
يتكلم في داخل نفسي ، منبها اباي الذي  
التروي بقراري .

« وفي الايام التالية ابان الله لنفسي بوضوح ان الكتاب المقدس  
هو كلمة الله ، وان كل ما نلقن اياه عن يسوع المسيح صحيح .  
وان يسوع هو املنا الوحيد . وعلى اثر هذا التجلي صرت ارى  
في الكتاب المقدس كلام الله ، وفي يسوع المسيح منقذي . ومنذ ان  
تجلى لي الله مرارا بينات لا سبيل الى الخطأ في تأويلها .

« وبصفتي طبيبا واخا ( Brother Physician ) ارجوك  
ان توجه افكارك نحو هذا الموضوع الهام . واؤكد لك انك لسو  
اولته اهتمامك وفتحت له كل عمقك . فسيكشف الله لنفسك  
اخفا عن الحقيقة ، نظير ما فعل  
هذا اجيب ، عرابا  
الذي

اثبات ذلك . وكانت نقطة الاوج في الجواب توكيده لي بأنه يصلي  
لله من اجلي بحرارة ، سائلا اياه ان يهنسي الايمان الحق  
. Faith To Believe

ان هذه الصلاة لم تستجب بعد . غير ان الحادث الديني  
الذي حدث لزميلي يدعو الى التأمل وإعمال الفكر . وقد لا أحجم  
بن القول بأنه يستأهل بذل محاولة لتأويله وردة الى دوافع  
وجدانية ، لان هذا الحادث مدهش يحد ذاته ولا يستند الى  
اساس مكين من وجهة النظر المنطقية . فمعلوم ، بالفعل ، ان الله  
يدع فظائع كثيرة اخرى تحدث خلا تواجد جثة امرأة عجوز لطيفة  
التقاطيع على طاولة للتشريح . هكذا كانت الحال في كل زمان  
وآن ، وما كان لها ان تختلف يوم كان زميلي الاميركي يستكمل  
دراسته . ومع ذلك ما كان يمكن لهذا الطبيب المتديء ان يكون  
جاهلا بالعالم الى حد عدم معرفة اي شيء على الاطلاق عن جميع  
تلك المصائب والفواجع . اذن فلماذا لم ينفجر تمرده على الله الا  
عندما أحس بما أحس به في قاعة التشريح ؟ ان من اعتاد على  
النظر تحليليا الى افعال البشر واحداثهم الباطنة لا يحتاج الى  
إعمال الفكر كثيرا ليهتدي الى التفسير ، بل اكاد ان اقول ان هذا  
الاخير انساب من تلقاء نفسه الى ذاكرتي . ففي اثناء مناقشة .  
اوردت فيها ذكر رسالة زميلي الورع . رويت انه كتب لي ان وجه  
جثة المرأة ذكره بوجه امه . وانحال ان ذلك لم يرد في رسالته  
- وعند الامعان في التفكير نتبين انه كن من المستحيل ان يرد  
فيها ذكر ذلك - ولكن ذلك هو التفسير الذي يفرض نفسه على  
نحو لا يقاوم تحت تأثير الكلمات الرقيقة التي استذكر بها المرأة  
العجوز 'Sweet Faced Dear Old Woman' . وعلى هذا الاساس  
نستطيع ان نرد مسؤولية ضعف الحكم لدى الطبيب الشاب الى  
الانفعال الوجداني الذي حركه لديه ذكرى امه . واذا لم نستطع  
ان نتحرر من تلك العادة السيئة التي جبل عليها التحليل النفسي  
باصراره على طلب شهادة تفاصيل ودقائق قابلة لتفسير بسيط

ومغايير دونما حاجة الى الشطط والفلو ، فسنذكر ايضا ان زميلي  
وصفني لاحقا بانني طبيب واح ( Brother Physician ) .

في مقدورنا اذن ان نتمثل الامور على النحو التالي : ان مراى  
جسم المرأة العاري (او الذي سينعري) ذكر الفتى بأمه ، وابقظ  
فيه الحنين الاموي المنبثق عن عقدة اوديب ، هذا الحنين الذي  
لن يلبث التمرد على الاب ان يفترن به كتكملة له . وبما ان الاب  
والله لم يتعدا لديه بعد بما فيه الكفاية واحدهما عن الآخر . فان  
ارادة إفناء الاب يمكن ان تغدو واعية في صورة شك في وجود  
اله وان تسمى الى تبرير نفسها في نظر العقل بالسخط الذي  
تثيره المعاملة السيئة التي يعامل بها الموضوع الاموي . والدافع  
الغريزي الجديد المنقول الى المضمر الديني ما هو الا تكرار للموقف  
الاوديبى ، ولهذا فانه ينتهي سريعا الى المآل نفسه ، ويسقط في  
تيار مضاد قوي . وفي اثناء النزاع لا يبقى مستوى النقل ثابتا ،  
اذ لم يرد ذكر لاية حجج ترمي الى تبرير فعلة الله ، كما ام توضيح  
لنا ما البينات الاكيدة التي اثبت بها الله وجوده للمرتاب . بل  
يبدو ان النزاع دار في شكل عصاب هلوسى ، اذ سمع المرتاب  
اصواتا داخلية تنته عن مقاومة الله . ويتظاهر مآل الصراع من  
جديد على المستوى الديني ؛ وهذا المآل متحدد سيقا بمصير  
عقدة اوديب بالذات ؛ وهو يتمثل في خضوع كامل لمشيئة الله  
الاب ، فاذا بالفتى يرتد مؤمنا ، ويقبل بكل ما اتقن اياه منذ نعومة  
اظفاره عن الله ويسوع المسيح . فلقد عاش حدثا دينيا . وكان  
نصيبه الاهتداء .

ان هذا كله انهم بمثابة من البساطة والشفافية بحيث لا نستعنا  
الا ان نسائل ان لم يكن فهم هذه الحالة يشكل خطورة انى الامام  
فى سكونولوجيا الاهتداء الدينى . واني لاحيل القارئ هنا الى كتاب  
ممتاز لماركيت دي سانكنس **الاهتداء الديني** . (بولونيا . 1924)  
يستفيد من جميع مكتشفات التحليل النفسى . وادنى مطالعة هذا  
المؤلف يتأكد لنا ما كان يمكن لنا ان نتوقعه : صحيح ان است

جميع حالات الإهداء قبله للتأويل بمثل السهولة التي أولنا بها  
الحالة التي رويناها هنا . لكن حاشا لا تناقض في أية نقطة الآراء  
اسمى كونها البحث المعاصر بصددها المؤسسرخ . وما يميز  
ملاحظتنا هو كونها ترتبط بمناسبة خاصة تتيح للشك أن يثور  
نورد آخره قبل أن يتقلب عليه الفرد بصورة نهائية .

## التحليل النفسي واثبات الوقائع في المضمار القضائي بمنهج تشخيصي (١)

سادتي ،

ان الإدراك المتعاطف لضرورة عدم إيلاء ثقة كبيرة للشهادة ،  
التي تمثل في الوقت الراهن في مضمار العدالة أساس عدد لا  
يحصى من احكام الادانة ، قد عزز لديكم ولا شك ، انتم قضاة  
الغد ومحاميه . الاهتمام المنصب على منهج جديد في البحث  
والتنقيب قعين بأن يرغم المتهم على ان يثبت بنفسه . بقرائسن

---

١ - محاضرة القاها فرويد في اطار دورس الدكتور لوفلز العمليه فسي  
جامعة فيينا في حزيران ١٩٠٦ . وظهرت للمرة الاولى في "ملفات الاندروبولوجيا"  
الاجرامية وتحليل الاجرام" التي كان يصدرها هانس غروس ، المجلد ٢٦ ،  
١٩٠٦ . - -

موضوعية ، جرمة او براءته . وقوام هذا المنهج تجارب سيكولوجية ، واساسها مباحث سيكولوجية ؛ وهو وثيق الصلة بتصورات محددة لم تطوّر في مضمار علم النفس الطبي الا مؤخرا . وانا اعلم انكم في سبيلكم الى امتحان صلاحة هذا المنهج الجديد ومدى قيمته بواسطة تجارب يمكن وصلها بأنها «تمارين على اشباح» (Phantomubungen) ؛ وقد لببت بثلهف دعوة رئيسكم . الاستاذ لاو فلر Loeffler . لاشرح لكم بمزيد من التفصيل وشائج هذه الطريقة بالتحليل النفسي .

انتم جميعكم تعرفون اللعبة الجماعية ولعبة الاولاد التي مؤداها القاء كلمة ما وإلزام الشريك بان يضيف اليها كلمة ثانية تؤلف ، متى ما اقترنت بالاولى . كلمة مركبة . كقولنا مثلا : سم ، سار = سمسار . وتجربة النداعي التي ادخلتها مدرسة فونت (٢) على علم النفس ما هي الا ضرب من لعبة الاولاد هذه وان افترقت الى شرط واحد من شروطها . وبالفعل ، ان قوام هذه التجربة إسماع شخص من الاشخاص كلمة ما - الكلمة الحائثة - وعلى الشخص ان يجيب عن هذه الكلمة بأسرع ما يمكن بكلمة ثانية تحظر بباله . وهذا ما يسمى ب «الاستجابة» ؛ لكن من دون ان يفرض عليه اي حد في اختيار كلمة الاستجابة هذه . وموضوع الرصد والملاحظة هو الوقت اللازم للاستجابة ، والعلاقة القائمة بين الكلمة الحائثة والاستجابة ، وهي علاقة يمكن ان تكون على قدر كبير من التنوع . غير انه لا يمكن القول ان هذه التجارب تمخضت في بادىء الامر عن نتيجة مرموقة . وهذا مفهوم . لانها اجريت من دون ان يطرح السؤال على اساس معين . وكانت تفتقر الى

---

٢ - فلهلم فونت : فيلسوف وعالم نفس ألماني (١٨٣٢ - ١٩٢٠) . مؤسس علم النفس التجريبي . -م-



فكرة قابلة للتطبيق على النتائج المحرزة . وهي لم تأخذ كامل معناها ولم تصبح خصبة الا حين شرع بلولر (٢) Bleuler وتلاميذته في ميونيخ ، وبالاخص يونغ (٤) ، بالاهتمام بـ «تجارب الترابط» هذه . ومع ذلك لم تكن التجارب الاخيرة هذه من قيمة الا بفضل الفرضية التي تنص على ان الاستجابة للكلمة الحائنة لا يمكن ان تكون بنت المصادفة ، بل هي متحددة بالضرورة والحتم لدى المستجيب بمضمون سابق الوجود من التمثلات .

لقد اعتدنا ان نطلق اسم «العقدة» على مضمون التمثلات القادر ، على هذا النحو ، على التأثير على الاستجابة تلكلمة انحانة . ويتظاهر هذا التأثير إما بأن تمس الكلمة الحائنة العقدة مسا مباشرا . واما بأن تفلح هذه العقدة في الاتصال بالكلمة الحائنة عن طريق توسطات . وجبرية الاستجابة هذه واقعة جذيرة بكل انتباه ؛ ووا راجعتم ما كتب حول هذا الموضوع لوجدتم كم كانت الدهشة التي أثارها كبيرة وسافرة . غير انه لا مجال للشك في صدق الواقعة ، لان بوسعكم بصورة عامة ان تختبروا هذه العقدة ذات التأثير وأن تفهموا ، بفضلها ، استجابات كان من شأنها ان تبقى في غير هذه الحال لامفهومة ، وحبكم لذلك ان تستجوبسوا الشخص الراد للفعل حول دوافع استجابته . والامثلة الواردة في الصفحات ٦ ، ٨ ، ٩ من دراسة يونغ (٥) ، قمينة بأن تحملنا

---

٢ - يوجين بلولر : طبيب نفسي سويسري (١٨٥٧ - ١٩٣٩) . حاول تطبيق نظرية فرويد في علاج فصام الشخصية . وكان يونغ مساعده . -م-

٤ - كارل غوستاف يونغ : طبيب نفسي سويسري (١٨٧٥ - ١٩٦١) ، ساهم مع فرويد في تأسيس التحليل النفسي ، لكنه اختلف معه لاحقا وانشق عنه . -م-

٥ - يونغ : التشخيص السيكولوجي للوقائع القانونية في مباحث في الطب النفسي والقانون ، ١٩٠٦ ، م ٤ ، ٢ .

على شدته في السيرورات النفسية واعتباطيتها المزعومة .  
 الفيلسوف « قيل تاريخ » افكار بلولر - يونغ  
 المائلة جابه بالعمدة لدى الشخص المفحوص . في  
 عام دراسة لي (٦) ان مجموعة بكاملها من  
 الافعال التي كانت تعتبر لا تعليل لها . متعينة على  
 العكس . تساهم بقدر هذا التعيين في التقليل من حرية  
 الاختيار . وقد جعلت موضوع دراستي الهفوات الصغيرة .  
 من لسان وعشرات قلم وتضييع للاشياء .  
 وأولها . ان الانسان عندما يتورط في فلتة لسان . لا يجوز رد  
 مسأله الى المصادفة ولا الى صعوبة النطق او تشابهه  
 الالهي . أجنطع ان نكتشف في كل مرة مضمونا من  
 ال . هو المسؤول عن بلبلة الاشياء . وعن تحوير  
 ان بنية الشخص ان يقوله . وقد رصدت . فضلا عن  
 لدى الناس الافعال الصغيرة التي تبدو اعتباطية وبلا قصد  
 . من افعال بسيرة نافذة والعباب الخ . ونزعت عنها قناعها .  
 . مني ان ابين انها « افعال اعراضية » ذات صلة بمعنى خفي .  
 نبعثها ان تندبر له تعبيراً لا يلفت الانتباه . وقد ثبت لنا ايضا  
 اسما من الاسماء لا يمكن ان يخطر ببالكم من دون ان يكون  
 . معها بعدة تمثلات . ممكن تسيط الضوء عليها ؛ وحتى الارقام .  
 التي تجري اختيارها في الظاهر حسب المراد ، يمكن ارجاعها الى  
 بعد خفية مشابهة . وقد امكن لاحد زملائي . الدكتور الفريد  
 أدلر . بعد بضع سنوات ان يؤيد بعدد من الامثلة الجيدة هذا

---

٦ - علم نفس امراض الحياة اليومية - فر شهرة الطب النفسي وعلم  
 لاجصاب . لجنده .

التوكيد الذي كان من بين توكيداتي اكثرها اثاراً للدهشة (٧) .  
فاذا ما افننا هذا التصور لجبرية الحيدة النفسية فهنما - وهذا  
استنتاج تبرره نتائج الدراسة النفسية لامراض الحياة اليومية -  
ان استجابات الشخص الخاضع لتجارب الترابط لا يمكن ان تكون  
هي الاخرى اعتبارية ، بل لا مناص من ان تكون منوطة بمضمون  
من التمثلات يعتمل في داخل نفسه .

اخيراً ، ايها السادة ، لنرجع الى تجربة الترابط . فسي  
الحالات التي كانت حتى الان موضع نظر ، كان الشخص المفحوص  
هو الذي يعلمنا عن مصدر الاستجابات . وهذا الوضع يجرد هذه  
المحاولة من كل قيمة من وجهة النظر القضائية . لكن ماذا  
سيحدث فيما لو عدلنا نظام التجربة ، على نحو ما نفعل عندما  
نحل معادلة من عدة كميات بالاستناد الى كمية بعينها او السى  
اخرى ، جاعلين من ا او ب المجهول س الذي نبحث عنه ؟ لقد  
كانت العقدة حتى الان هي المجهولة بالنسبة اليانا ، نحن  
الفاحصين ، وكنا نبلوها ونجسها بواسطة كلمات حانة ، اخترناها  
بارادتنا ، وكان انشخص المفحوص هو الذي يفصح لنا عن العقدة  
التي ترغمها الكلمات الحانة على التظاهر . فلنعكس طريقة العمل ،  
ولنختار عقدة معروفة من قبلنا ، ولنؤثر عليها بكلمات حانة مختارة  
عن عمد ، ولننقل المجهول س الى طرف الشخص الراد للفعل :  
افلا يمكن عندئذ ان نقرر ، بحسب نتيجة الاستجابات ، هل يحمل  
الشخص المفحوص في داخل نفسه العقدة المذكورة ؟ انتم ترون  
ان هذا التنظيم للتجربة يتجاوب بدقة مع وضع قاضي الاستنطاق

---

٧ - ادلر : ثلاثة تحاليل سيكولوجية للافكار الرقمية وللوساوس الرقمية  
فسي اسبوعية فون برسر للكتابات الطبية النفسانية والعصية ، ١٩٠٥ ،  
العدد ٢٨ .

على شدته في السيرورات النفسية واعتباطيتها المزعومة .  
 الفيلسوف « قيل تاريخ » افكار بلولر - يونغ  
 المائلة جابه بالعمدة لدى الشخص المفحوص . في  
 عام دراسة لي (٦) ان مجموعة بكاملها من  
 الافعال التي كانت تعتبر لا تعليل لها . متعينة على  
 العكس . تساهم بقدر هذا التعيين في التقليل من حرية  
 الاختيار . وقد جعلت موضوع دراستي الهفوات الصغيرة .  
 من لسان وعشرات قلم وتضييع للاشياء .  
 وأولئك . ان الانسان عندما يتورط في فلتة لسان . لا يجوز رد  
 مسأله الى المصادفة ولا الى صعوبة النطق او تشابه  
 الالفاظ . نجنظع ان نكتشف في كل مرة مضمونا من  
 ال . هو المسؤول عن بلبلة الاشياء . وعن تحوير  
 ان بنية الشخص ان يقوله . وقد رصدت . فضلا عن  
 لدى الناس الافعال الصغيرة التي تبدو اعتباطية وبلا قصد  
 . من افعال بسيرة نافذة والعباب الخ . ونزعت عنها قناعها .  
 . مني ان ابين انها « افعال اعراضية » ذات صلة بمعنى خفي .  
 . نبعثها ان تندبر له تعبيراً لا يلت الانتباه . وقد ثبت لنا ايضا  
 اسما من الاسماء لا يمكن ان يخطر ببالكم من دون ان يكون  
 . بعضها بعدة تمثلات . ممكن تسيطر الضوء عليها ؛ وحتى الارقام .  
 . التي تجري اختيارها في الظاهر حسب المراد ، يمكن ارجاعها الى  
 . بعد خفة مشابهة . وقد امكن لاحد زملائي . الدكتور الفريد  
 أدلر . بعد بضع سنوات ان يؤيد بعدد من الامثلة الجيدة هذا

---

٦ - علم نفس امراض الحياة اليومية - نشر شهرة الطب النفسي وعلم  
 لاجصاب . انجند .

التوكيد الذي كان من بين توكيداتي اكثرها اثاراً للدهشة (٧) .  
فاذا ما افننا هذا التصور لجبرية الحيدة النفسية فهنما - وهذا  
استنتاج تبرره نتائج الدراسة النفسية لامراض الحياة اليومية -  
ان استجابات الشخص الخاضع لتجارب الترابط لا يمكن ان تكون  
هي الاخرى اعتباطية ، بل لا مناص من ان تكون منوطة بمضمون  
من التمثلات يعتمل في داخل نفسه .

اخيراً ، ايها السادة ، لنرجع الى تجربة الترابط . فسي  
الحالات التي كانت حتى الان موضع نظر ، كان الشخص المفحوص  
هو الذي يعلمنا عن مصدر الاستجابات . وهذا الوضع يجرد هذه  
المحاولة من كل قيمة من وجهة النظر القضائية . لكن ماذا  
سيحدث فيما لو عدلنا نظام التجربة ، على نحو ما نفعل عندما  
نحل معادلة من عدة كميات بالاستناد الى كمية بعينها او السى  
اخرى ، جاعلين من ا او ب المجهول س الذي نبحث عنه ؟ لقد  
كانت العقدة حتى الان هي المجهولة بالنسبة اليانا ، نحن  
الفاحصين ، وكنا نبلوها ونجسها بواسطة كلمات حائنة ، اخترناها  
بارادتنا ، وكان انشخص المفحوص هو الذي يفصح لنا عن العقدة  
التي ترغمها الكلمات الحائنة على التظاهر . فلنعكس طريقة العمل ،  
ولنختار عقدة معروفة من قبلنا ، ولنؤثر عليها بكلمات حائنة مختارة  
عن عمد ، ولننقل المجهول س الى طرف الشخص الراد للفعل :  
افلا يمكن عندئذ ان نقرر ، بحسب نتيجة الاستجابات ، هل يحمل  
الشخص المفحوص في داخل نفسه العقدة المذكورة ؟ انتم ترون  
ان هذا التنظيم للتجربة يتجاوب بدقة مع وضع قاضي الاستنطاق

---

٧ - ادلر : ثلاثة تحاليل سيكولوجية للافكار الرقمية وللوساوس الرقمية  
فسي اسبوعية فون برسر للكتابات الطبية النفسانية والعصية ، ١٩٠٥ ،  
العدد ٢٨ .

الذي بهمه ان يعرف ما اذا كانت بعض الوقائع المعروفة لديه معروفة ايضا من قبل المتهم بوصفه فاعل هذه الوقائع . ويبدو ان فرنهايمر Wertheimer وكلاين Klein ، وهما من تلاميذ عالم الاجرام هانس غروس Gross في براغ ، كانا اول من شرع بتعديل نظام التجربة في هذا الاتجاه ، البالغ الاهمية من وجهة نظركم (٨) .

لقد علمتكم تجاربكم بالذات انه توجد في الاستجابات . في اثناء تلك الاستنطاقات ، نقاط استدلال شتى تبيح لكم ان تقرروا هل يعاني الشخص المفحوص او لا يعاني العقدة التي تسعون الى التأثير عليها بكلمات حاتة . وسوف اعددتها لكم تباعا : ١ - المحتوى اللامتوقع للاستجابة والمستوجب لتفسير ؛ ٢ - اطالة زمن الاستجابة ، اذا لم تطلق الكلمات الحاتة التي مست العقدة جوابا الا بعد تأخر ملحوظ (يبلغ في كثير من الاحيان اضعاف زمن الاستجابة المعتاد) ؛ ٣ - الخطأ الذي يظهر في التكرار . وانتم تعلمون ما الواقعة الالفة للنظر الملمع اليها هنا . فعندما نعيد طرح مجموعة من الكلمات الحاتة على الشخص المفحوص بعد مرور وقت وجيز على طرحها عليه في تجربة اولى ، نجده يكسرر استجابات المرة الاولى عينها ؛ ولا يستبدل الاستجابة الاولى بأخرى مغايرة الا بالنسبة الى الكلمات التي مست العقدة مباشرة ؛ ٤ - واقعة الاستمرار او ساقول بالاحرى : استمرار المفعول بعد انتهاء التجربة) . وبالفعل . كثيرا ما يحدث ان يستمر المفعول الناجم عن استيقظ العقدة بكلمة حاتة («كلمة حرجة») اتمنيها (وعلى سبيل المثال اطالة زمن الاستجابة) ، فيعدل حتى الاستجابات للكلمات التالية غير الحرجة . اذن . فحيثما تطلق هذه القرائن كافة ، او عدد كبير منها على الاقل ، تكن العقدة التي

---

٨ - نقل عن يونغ ، المصدر الانف اللامر .

نعرفها قد تكشفت عن انها باعثة على الاضطراب لدى الشخص المستنطق . وعليكم ان تفهموا هذا الاضطراب على النحو التالي : ان العقدة الماثلة لدى الشخص المستنطق مشحونة وجدانيا وقادرة بالتالي على سحب كمية معينة من الانتباه من مجهود الاستجابات ؛ وبذلك يحق لكم ان تروا في هذا الاضطراب حالة من حالات «الخيانة النفسية للذات» .

اعلم انكم تهنمون في الوقت الراهن بالمصادفات وبالصعوبات التي تكتنف هذه الطريقة التي من شأنها ان تقود الظنين الى فضح نفسه بنفسه موضوعيا ، ولهذا الفت انتباهكم الى الواقعة التالية: وهي انه يجري ، منذ نحو عشرة أعوام ، وفي مضممار آخر ، استخدام طريقة مشابهة تماما بقية كشف المادة النفسية الخفية او المخفية . وسأحاول ان اضع تحت انظاركم ، بقدر الامكان ، نقاط التشابه والاختلاف .

ان ذلك المضممار مغاير جدا بكل تأكيد لمضماركم . وقصدي هنا ان اتكلم بالفعل عن طريقة علاج بعض «الامراض العصبية» التي تسمى بالاعصبة النفسية والتي يمكن ان يكون من نماذجها الهستيريا والافكار الوسواسية . وهذه الطريقة تدعى بالتحليل النفسي ، وكنت انا من طورها بالاستناد الى طريقة المعالجة التطهيرية التي كان ج. بروير (٩) انسباق الى استخدامها فسي

---

٩ - جوزيف بروير : زميل ل فرويد عمل معه في بداية حياته العلمية في مختبر الدكتور برنك واشترك معه عام ١٨٩٥ في تأليف كتاب بعنوان دراسات في الهستيريا . وكان بروير بكبره بأربعة عشر عاما ، وكان يستخدم التوسيم المنطيسي في علاج المرضى النعسانيين ، ثم ما لبث ان استعاض عنه بطريقة التطهير (كاناثوسيس) التي تقوم على النزاع الاسرار التي ترهق المريض من افكار ومواقف مكبوتة . ولكن فرويد لم يقف عند الحد الذي وصل اليه بروير ، =

فينا (١٠) . واستجابا للدهشة التي قد تبدونها . اجد لزاما على ان اعرض لكم التباين العائم بين المجرم والمبستر . فالامر لديكم كلبينما امر سر . امر شيء مخفي . لكن تحاشيا لكل مفارقة . سبادر للحال الى التويه بالفارق بينهما . فالسر ندى المجرم سر معروف من قبله وهو يخفيه عنكم . اما المبستر فمجيئ من قبله ويخفي عليه هو نفسه . اذك ممكن لا اجل . كما بت نعرف بعد داب وضول بحث : فجميع تلك الامراض تدى من كون اوتسك الاشخاص قد نجحوا نجاحا عظيما في كبت بعض الذكريات والتمثلات المشحونة شحنا وجدانيا قويا . وكذلك الرغبات المبنية على هذه الذكريات والتمثلات . بحيث ما عادت في جملتها تلعب اي دور في فكرهم ولا تمثل امام وعيهم . وبذلك تخفى عليهم هم انفسهم . وانما من هذه المادة النفسية المكيوتة ، من هذه «العقد» . تنأى الاعراض البدنية والنفسية التي تقض مضاجع المرضى وكنها ضمير مبكت . اذن فالفارق بين المجرم والمبستر اساسي بصد هذه النقطة .

غير ان مهمة كل من الطبيب المعالج وقاضي الاستنطاق واحدة مع ذلك ؛ فعلينا ان نكتشف ما هو خفي ومستتر في النفسية . وقد ابتكرنا لهذا الغرض مجموعة من طرائق الاستقصاء والتحري التي لا نترك في ان السادة رجال القضاء سيخذون ببعضها . نل من المقيد لكم ، من وجهة نظر عملكم . ان تعلموا كيف نعمل نحن الاطباء في مضمار التحليل النفسي . فبعد ان يروي

---

= فاعتصمت عرى الساوان بين الاسين . ومضى فرويد في طريق التحليل النفسي وحيدا . وقد كتب فرويد فيما بعد يقول : ان تطور التحليل النفسي قد كنه صداقة بروبر وانه لم يكن من السهل عليه دفع هذا الثمن . لكن لم يكن في مقدوري ان انقاذ ما كان .

١٠ - ج . بروبر وسف . فرويد : دراسات في الهستيريا ، ١٨٩٥ .



المرض لمرة أولى قصته . ندعوه اني إسلاس قباد نفسه لتداعياته  
والتي إخبارنا بعد رد الى خاطره بلا تقييد نفدي . ونحن بذلك  
نطلق من فرضية . لا خاطرنا هو نفسه ابانها . وموداهان  
تداعيه لن تكون اعتباطية . بل ستتحدد بعلاقتها بمره ،  
باعتقده . بحيث يمكن اعتبارها . اذا جاز القول . فسائل (١١)  
من عقده . وكما ترون ، فاننا عين الفرضية التي بفضلها وجدتم  
انه من الممكن تاويل تجارب الترابط . غير ان المريض . الذي  
نظب اليه ان يتبع القاعدة وان يبلغنا بكل تداعيته ، لا يبدو قادرا  
على فعل ذلك . فهو يمك عنا تارة واحدا من تلك التداعيات ،  
وظورا واحدا آخر . متوسلا بذرائع شتى : فاما ان هذا التداعي  
عادم الاهمية . واما انه خارج نطاق المسألة . واما انه عار من كل  
معنى . وعندئذ نطالبه بإطلاعنا على تداعيه . وبمتابعته بالرغم من  
تلك الاعتراضات . وذلك على وجه التحديد لان هذا النقد ، باعلانه  
عن نفسه وتظاهرة للنور . يقدم لنا دليلا على ان ذلك التداعي ذو  
صلة بالعقدة التي نسمى الى كشفها . ونحن نرى في مسلسلك  
المريض هذا تجليا لـ «المقاومة» الكامنة فيه ، هذه المقاومة التي  
تبقى ماثلة طول مدة العلاج . ويودي الإشارة باختصار الى ان  
فكرة المقاومة هذه قد تبست اعظم الاهمية في فهمنا لتكوين المرض  
ولاولية شفائه على حد سواء .

ولا يسعكم انتم ان تلاحظوا مباشرة هذا النوع من نقد التداعيات  
في تجاربكم . وبالغالب تدح لنا الامكانية في التحليل المنهجي .  
نرصد جميع المؤشرات والخرائن البارزة المدونة من قبلكم والمادة  
على عقدة ما . فحين لا يعود المريض يجرؤ على مخالفة القاعدة

١١ - الفسار ومفردها فسيبه : في الاصغر ثم عود يقطع من تجربته

التي املت عليه . نلاحظ مع ذلك انه يتوقف احيانا في تقبل تداعياته الينا . وانه يتردد ويطيل الوقفات . وكل تردد من هذه الترددات ينمّ في نظرنا ، نحن ، عن تظاهر للمقاومة ويكون لنا بمثابة علامة على الانتماء الى «العقدة» . والحال انه اهم مؤشر بالنسبة الينا : مثله مثل اشارة زمن الاستجابة بالنسبة اليكم . وقد جربنا هذا المجرى في تاويل التردد ، حتى عندما لا يكون هناك ما يدل على ان مضمون التداعي للمجوم ينطوي على اي إشكال . وحتى عندما يؤكد المريض ويجزم بأنه لا يستطيع ان يدرك لماذا نمرض انه يتردد في نقله الينا . والوقفات التي نلاحظها في التحليل النفسي هي بوجه عام اطول مدة من التأخرات التي تسترعي انتباهكم في تجارب الاستجابة .

اما ثاني مؤشر معنوم لديكم من مؤشرات العقدة : اي تعديل مضمون الاستجابة ، فيلعب ايضا دوره في تقنية التحليل النفسي . فقد اعتدنا ان نرى دوما في ايسر تغيير يطرأ لدى مريضنا على طريقة التعبير عن افكاره اشارة الى معنى خفي . وقد نعرض انفسنا ، حتى عن طواعية ، بتمسكنا بمثل هذا التأويل . لسخرته وهزئه لآمد من الزمن . ونحن نترصد لديه على وجه التحديد العبارات التي يتظاهر فيها اللبس والتي تشف . من خلال التعبير الحيادي : عن المعنى الخفي . وليس المريض وحده ؛ بل حتى الكثيرون من زملائنا الجاهلين بالتقنية التحليلية النفسية وبشروطها الخاصة يابون هنا ان يمحصونا لنتهم وبتجموننا بالشطط في الشطارة وبالمقالة في التدقيق بالامور وفي تأويلها ؛ بيد ان الحق غالبا ما يكون معنا في نهاية المطاف . وفي الحقيقة . ليس من العسير ان ندرك ان السر المكتوم بعناية لا ينمّ عن نفسه الا بالاماعات طفيفة ، متبسة المعنى في احسن الاحوال . وفي النهاية يعتاد المريض على ان يقدم لنا في شكل «وصف لامباشر» كل ما نحن بحاجة اليه لإمطة اللثام عن العقدة .

وفي مجال اكثر اتحدادا ، نستخدم في التحليل النفسي تائمة

قرائنكم على العقدة ، الخطأ ، اي التفسير في التكرار . فاحدى العضلات التي كثيرا ما تطرح علينا تتمثل في تأويل الاحلام ، اي في ترجمة مضمون حلم تحفظه الذاكرة الى معناه الخفي . وقد نجد انفسنا احيانا في حيرة من امرنا ازاء الزاوية التي يجدر بنا ان نطرق منها العضلة ، وعندئذ يسعنا استخدام قاعدة اكتشفت اختباريا ومؤداها ان نحمل الحالم على ان يكرر على مسامعنا قصة حلمه . وعندئذ ، وبوجه عام ، يعدل الحالم طريقته فسي التعبير عن افكاره في نقاط شتى ، بينما يكرر اقواله بأمانة في نقاط اخرى . وعندئذ ايضا نعكف على تلك النقاط التي شاب فيها النقل عيب ما . بفعل التعديل ، وغالبا بفعل الإغفال ايضا ، على اعتبار ان هذه اللامانة في النقل هي لنا بمثابة توكيد على العلاقة بالعقدة ، ووسيلتنا المثلى الى طلب المعنى الخفي للحلم (١٢) .

لكن لا تحسبوا اني انتهيت من بيان التطابقات التي اجدت في طلبها عندما سأعترف لكم بأنه لا توجد في التحليل النفسي ظاهرة مماثلة لظاهرة «الاستمرار» . ومرد هذا الفرق الظاهري السى الشروط الخاصة لتجاربيكم . فانتم لا تتركون . بالاجمال . لمفعول العقدة الوقت الكافي ليتظاهر ؛ فما أن نبدأ بإتيان منعونها حتى تصرفوا انتباه الشخص المفحوص بكلمة حائنة ، حيادية فسي الارجح ، ولربما لاحظتم عندئذ ان هذا الشخص يبقى احيانا مشغولا بالعقدة بالرغم من البلبلة التي عرضتموه لها . اما نحن فنحاذر ان نعرض الشخص الذي نحلله لمثل هذه البلبلة . وندع مريضنا مشغولا بعقدته ؛ وبما أن كل شيء لدينا «استمرار» ان جاز التعبير ، فاننا لا نستطيع ان نرصد هذه الظاهرة على حدة ومعزولة عما عداها .

ووسعي تؤكد ما يلي : اننا نترسل بصفة عامة . بالفرائق  
التي انبها لكم . التي توعية المريض بمرده . اي بالمكبوت . والى وضع  
حد بالثاني للبعين السيكولوجي لاغراض ذاته . تكن قبيل ان  
تستخلصوا من هذا النجاح استنتاجات بصدد النجاح المحتمل  
لمباحثكم اسر . سنحدد هنا بعض الفوارق التي يسم بها الوضع  
السيكولوجي .

كنا استغنا التنويه بالفارق انريسي : فالسر لدى المريض  
العصبي سر بالنسبة الى وعيه بالذات . اما لدى المجرم فلا سر الا  
بالنسبة اليكم انتم ؛ لدى الاول جهل فعلي . وان لم يكن بجمع  
المعاني التي يمكن ان تعطى للكلمة ؛ اما لدى الثاني فلا وجود الا  
لتظاهر بالجهل . ويترب على هذا فرق مهم آخر من وجهة النظر  
العملية . ففي التحليل النفسي يحاول المريض ان يساعدنا بما  
يبدله من مجهود واع ضد مقاومته ، اذ انه يتوقع ان يعود عليه  
الفحص بفائدة : الشفاء ؛ وبالمقابل لا يعمل المجرم معكم . لانه لو  
عمل معكم لعمل ضد كل اناة . وبالمقارنة . فان مطلبكم الوحيد  
من تحليلكم الوصول الى تيقن موضوعي ؛ بينما لا بد ، في فن  
الشفاء ؛ من ان يصل المريض نفسه الى مثل هذا التيقن . غير انه  
يبقى ان نعرف ما العقبات وما التعديلات التي سيفرضها على  
طريقكم انعدام هذا التعاون من جانب الشخص المعوص . وهذا  
وسع لن يكون في مقدوركم ابدا على كل حال ان نحاذقوه فسي  
تعاريفكم المدرسية ، لان الزميل اندي ستولي عندئذ دور انظمن  
سفة

باطراد لدى المرضى العصبيين النفسانيين عقدة جنسية مكبوتة  
يروسع معاني الكلمة . فهذا ما لا نقيم له اعتبارا من منظور  
النفروق . لكن نعمة شيئا آخر . فمهمة التحليل النفسي يمكن  
تحديدها على النحو النظمي التالي في الاحوال طرا : ان المطلوب  
اكتشاف عقد مكبونه بفعل مشاعر الكدر والتنقيص ، وهي عقد  
تصدر عنها ، متى ما حاولت دخول مجال الوعي ، اشارات  
مقاومة . وهذه المقاومة موضعية بمعنى ما : فمكانها التحم  
الفاصل بين اللاشعور والشعور . اما في الحالات التي تولونها  
اهتمامكم فالمقاومة تابعة بتمامها للشعور . وهذا الفارق لن  
يسعكم التفاضل عنه ، بل عليكم ان تبادروا ، بواسطة التجارب ،  
الى التاكيد مما اذا كانت المقاومة الواعية نفضح او لا تفضح نفسها  
بالعلامات عينها التي تنم بها المقاومة اللاواعية عن نفسها . ويخيل  
الي ، علاوة على ذلك . انكم لا تستطيعون ان تقنعوا بيقين فيما ان  
كان من حقمك تاويل قرائنكم الموضوعية على العقد على انها  
مقاومات ، كما نفعل ، نحن المعالجين النفسانيين . وبالرغم من  
ان ذلك ليس منواترا لدى المجرمين ، فقد يحدث ان تكون العقدة  
التي مستمونها لدى الاشخاص موضوع تجاربكم مشحونة  
باللذة ، ومن الجائز في هذه الحال ان تنساءلوا عما اذا كانت  
ستصدر عنها استجابات معاملة لتلك التي كانت ستصدر عنها  
فيما لو كانت مشحونة بالكدر والتنقيص .

بودي التنويه ايضا بما يلي : قد يحدث ان يدخل عنصر ما في  
تجربكم ، عنصر عادم الوجود بالطبع في التحليل النفسي . ففي  
انثناء استقصائكم وتحريككم قد يضللكم مريض عصبي برده الفعل  
وكانه مذنب ، مع انه بريء ، وهذا لان الشعور بالذنب الكامن  
لديه والواقف بالمرصاد على الدوام يهتبل الفرصة التي يتيحها له  
الانتماء الموجته اليه . ولا تحسبوا هذه الحالة اختلاقا لا طائل فيه ؛  
بل حسبكم ان تتوجهوا بفكركم الى غرفة الاولاد لترصدوا حالات  
مناظرة لها كثيرة . فقد يحدث ان تنحوا باللوم على ولد ممن

الأولاد على عمل ما سيء ، فينكر بيقين راسخ غلظته : لكنه في الوقت نفسه يبكي وكأنه خاطيء ضبط في الجرم المشهود . وقد يداخلكم الاعتقاد بأن الولد يكذب اذ يؤكد براءته ، لكن قد لا يكون كذلك هو واقع الحال . فالولد لم يرتكب حقا ذلك العمل السيء الذي تنهونه به ، بل ارتكب محله وبدلا منه عملا سيئا آخر انتم به جاهلون ولا تلمونه عليه . اذن فهو محق في إنكار ذنبه المتعلق بأحد العملين السيئين ، لكنه يفضح في الوقت نفسه شعوره بالذنب عن العمل السيء الآخر . والمريض العصبي الراشد يتصرف هنا ، كما بصدد نقاط اخرى كثيرة ، تصرف الولد . وكثيرون هم الافراد انذين من هذه الشاكلة ، ومن الجائز لنا ان نتساءل عما اذا كانت طريقتكم ستتوصل الى تمييز هؤلاء الناس - الذين يضعون انفسهم بانفسهم على هذا النحو موضع اتهام - من المذنبين الحقيقيين . وسأضيف ايضا ما يلي : انكم تعلمون انه لا يحق لكم ، بموجب قانون الاستنطاق الجنائي ، استخدام سلاح المباغثة مع الظنين . وعليه ، فهو سيعرف سلفا ان المطلوب منه الا يفضح نفسه اثناء التجربة ، وبوسعنا بالتالي ان نتساءل ان كان من الجائز ان نتوقع استجابات متماثلة في حال تركيز الانتباه على العقدة كما في حال انصرافه عنها ، والى اي حد يمكن لنية الكتم والإخفاء ان تؤثر على كيفية الاستجابة لدى هذا الشخص او ذلك .

وعلى وجه التحديد لان الاوضاع التي يفترض فيكم ان تجروا فيها تجاربكم تتميز بالتنوع الشديد ، ترون علم النفس يهتم بالغ الاهتمام بنجاحها . وقد يكون من المحبذ ان نتوجه اليكم بالرجاء بأن لا تيسروا بأسرع مما ينبغي من جدواها العملية . اما انسا شخصيا ، فان كنت من ابعد الناس بحكم اهتماماتي عن المساهمة في مزاولة القضاء ، فلن أثقل عليكم مع ذلك فيما لو عرضت عليكم اقتراحا آخر . فمهما تكن ضرورة التمازين المدرسية علسى

التحضير للاستنطاقات الجنائية . فلن نتوصوا ابدا الى استباق  
اوضاع السيكولوجي الذي يكون عليه المتهم اثناء التحقيق فسي  
دعوى ما . فما تمارينكم هذه الا «تمارين على الاشباح» ولا يمكن  
بحال من الاحوال ان تسوغ التطبيق العملي لهذه الطريقة فسي  
دعوى جنائية . واذا كنا لا نريد لعزوف عن الافادة منها . فمامنا  
الى ذلك الوسيلة التالية . فمن الضروري ان يباح لكم . بل ان  
يفرض عليكم كواجب ان تقوموا بحل هذه الابحاث طول سنوات  
وسنوات في كل ما يعرض لكم من دعاوى الاتهام الجنائي الفعلية،  
ولكن من دون ان يؤذن للنتائج التي ستحرزونها عن هذا السبيل  
بالتأثير ولو بأقل مقدار على قرارات العدالة . والافضل في هذه  
الحال الا يتناهى الى العدالة العلم بالاستنتاجات التي تكون ابحاثكم  
قد قادتكم اليها بصدد تجريم المتهم . وانما بعد قضاء سنوات  
كثيرة في تجميع الوقائع وإخضاع النتائج المحرزة لفحص مقارن ،  
يمكن ان تتبدد الشكوك بصدد المنفعة العملية لهذه الطريقة فسي  
التحري السيكولوجي . وانا اعلم ، بكل تأكيد ، ان تحقيق هذه  
الامنية ليس منوطا بكم وحدكم وباستاذكم النابه الذكر .

## طباق المعاني في الالفاظ البدائية (١)

كمدخل الى هذا المقال ساورد فقرة من كتابي علم الاحلام اعرض فيها ملاحظة مستنتجة من البحث التحليلي ، وهسي ملاحظة لم تحفل بعد بتفسير :

«ان الطريفة التي يعبر بها الحلم عن مقولتي التضاد والتناقض لباعثة على الدهشة حقا : فهو لا يعبر عنهما ، بل يبدو وكأنه يجبل ال «لا» . ولكم بيرع في الجمع بين الاضداد وفي تمثيلها في موضوع واحد . وكثيرا ما يمثل ايضا عنصرا من العناصر بنقيضه ، بحيث لا يسعنا ان نعرف ان كان عنصر بعينه من الحلم - قابل لتأويل متناقض - بشي بمضمون ايجابي او سلبى

---

١ - هذا التعليق على كتاب كارل بيل (١٨٨٤) الذي حمل العنوان نفسه طهر لأول مرة في حواصة الكشوف التحليلية النفسية والمرغبه النفسية ، المجلد ٢ ، ١٩١٠ . -٥-



في فكرة الحلم» .

ويبدو ان مفجري الاحلام في العصور القديمة قد استخدموا على اوسع نطاق الفرضية التي مؤداها ان الشيء يمكن ان يدل في الحلم على تقيضه . ويسلم بهذه الامكانية ايضا الباحثون المعاصرون في مضمار الاحلام . وذلك بقدر ما يقرون بصفة عامة بن للحلم معنى وتاوילה (٢) . واعتقد اني لا اثر المعارضة انساب الآخر عندما افترض ان جميع الذين ساروا معي على طريق التاويل العنفي للاحلام قد اقرروا ولا بد بان التوكيد الانف الذكر قد اثبتت صحته الوقائع .

لقد تيسر لي . اناء مطاعني بالمصادفة لكتاب بقلمه . ك. ابييل (٢) . ان افهم سر هذا الميل الغريب الذي يتسم به عمل الحلم : اعني نزوعه الى تجاهل التناقض والى التعمير بسئل واحد عن اشياء متعاكسة . واهمية الموضوع ستبرز في الاستشهاد هنا حرفيا بالمقاطع الفاصلة من بحث ابييل اوسع استيعادي معظم الامثلة . وهي تظلمنا . بالفعل . على هذا الامر انباعت على العجب : ان النهج الانف الذكر . اندي اعتاد عمل الحلم سلوكه . هو ايضا من خصائص اقدم اللغات المعروفة . فبعد ان يشهد ابييل قدم اللغة المصرية . التي تكونت - ولا بد - قبل زمن طويل من عصر النقوش الهيروغليفية الاولى . بردف قوله :

«ادن تشمل اللغة المصرية . وهي الاثر الثمين الوحيد المتبقي

- 
- ٢ - اطروا . على سبيل المثال . غ. د. فون شورن : رمزية الاحلام .  
الطبعة الرابعة . ١٨٦٢ . الفصل ٢ : لغة الحلم .  
٣ - صدر عام ١٨٨٤ على شكل كراسة من ان يقدمه الكاتب في  
التاليه الى مجبونه الدراسات في لغة اللغة .

من عالم بدائي ، على عدد معين من الالفاظ التي لها معنيان ،  
واحدهما هو بالضبط نقيض الآخر . ولنتصور : اذا كان فسي  
مقدورنا ان نتصور شيئا من هذا القبيل ، استحالة منطقيسة  
صارخة كالاستحانة التالية : ان كلمة قوي تعني في آن واحد  
القوي والضعيف ؛ وكلمة ضوء تفيد في الدلالة على الضوء والظلمة  
. معا : التخييل ان بورجوازيا من ميونيخ سمي الجمعة جمعة ، بينما  
استخدم بورجوازي آخر اللفظ نفسه في الكلام عن الماء : فهذا  
يمكن ان يكون مثالا على الطريقة العجيبة التي كان قدامى المصريين  
يستعملون بها عادة لغتهم . وهل نستطيع ان نلوم ، بعد ذلك .  
من اذا طرق مسامعه هذا الكلام هز راسه غير مصدق ؟...»  
(ص ٤) (وتلي ذلك امثلة) .

«ازاء هذا المثال وغيره من الامثلة المشابهة الكثيرة على هذا  
الاستعمال الطباقى للفظ الواحد ، لا يمكن ان يخامرنا الشك في  
انه قد وجد ، في لغة واحدة على الاقل ، عدد معين من الالفاظ  
التي تشير الى الشيء ونقيضه معا . ومهما بدا ذلك باعثا على  
الاستغراب ، فاننا هنا امام واقعة لا مناص لنا من اخذها فسي  
حساننا» (ص ٧) .

ويرفض المؤلف هنا التفسير الذي يعلل هذا الوضع بجناس  
عرضي ، وينكر ، بقوة مماثلة ، الفكرة التي ترد هذا الوضع الى  
نقص في التطور العقلي المصري .

«والحال ان مصر لم تكن بحال من الاحوال موطن العيب  
واللامعقول . بل كانت على انعكس موطننا من اقدم مواطن العقل  
البشري الذي كان قيد التطور . . . كان لها نظام اخلاقي صاف  
يفيض نبلا ، وقد صاغت القسم الاكبر من الوصايا العشر في زمن  
كانت فيه الشعوب ، الموقوفة عليها الحضارة اليوم ، لا تزال تقدم  
الاضاحي البشرية لاصنامها الظمئة الى الدم . وان شعبا اشمل  
مصاح العدالة والحضارة في مثل تلك الازمنة المظلمة ما كان له ان  
يتون شيئا الى هذا احد في طريقته اليومية في الكلام وانتقير...»

وهؤلاء الناس : الذين كانوا يتقنون صناعة الزجاج : والذين كان  
يسمهم ان يحركوا ويرفعوا بالالات كتلا ضخمة ، كان لديهم - ولا  
بد - قدر كاف من العقل كيلا يعتبروا ان شيئا من الاشياء هو  
ذاته وتقيضه في آن معا . فكيف نوفق بين هذه الوقائع وبين  
الواقعة الاخرى المتمثلة في ان المصريين حببوا انفسهم بمثل تلك  
اللغة الغريبة والمتناقضة ... واعتادوا ان يعطوا الافكار الاشد  
تضادا جناسا لفظيا واحدا ، وان يربطوا في ضرب من اتحاد لا  
تفصم عراه بين ما يتنافى شقاه اشد التنافي ؟» (ص ١٩) .

قبل ان نحاول الاتيان بأي تفسير ، لا بد لنا ان نأخذ في  
اعتبارنا ايضا ان نهج اللغة المصرية العجيب هذا قد تعزز وتوطد.  
"لعل الاغرب بين جميع غرائب المعجم المصري ما يلي : فعلاوة على  
الالفاظ التي تجمع بين المعاني الاشد تعارضا - توجد في هذا  
المعجم كلمات مزجية يُولف فيها لفظان متعاكسا المعنى مركبا ليس  
له سوى معنى واحد فقط من معنيي العنصرين المكونين له .  
وهكذا نجد ان تلك اللغة العجيبة لا تحتوي فقط على الفاظ تعني  
**قويا وضعيفا** في آن معا نحسب ، او **امر واطاع** نحسب ، بل  
كذلك على كلمات مزجية مثل **شيخ - فتى** . **بعيد - قريب** .  
**ربط - فصل** . **خارج - داخل** ... وعلى الرغم من هذا الجمع  
بين الفاظ ذات معان متنافرة ، فان اولى هذه الكلمات لا تعني  
سوى **فتى** ، و**ثالثتها قريب** ، و**رابعتها داخل** ...  
اذن فعن قصد وعمد حقا جرى الجمع في هذه الكلمات بين  
تناقضات في المفاهيم ، وذلك ليس بهدف خلق مفهوم جديد .  
كما يحدث في اللغة الصينية احيانا ، بل فقط بقصد التعبير ،  
بواسطة تلك الكلمة المزجية ، عن معنى جزء واحد فقط من جزئياتها  
المتضادين . علما بان هذا المعنى كان يمكن ان يؤديه هذا الجراء  
المنفرد وحده ...» .

يبد ان هذه المشكلة أسهل حلا مما يبدو فمفاهيمنا ترمي التور.

بالاستناد الى المقارنة . « فلو كان الكون ميّرا طول الوقت لمسنا  
 احتجنا الى اجراء اية مقارنة بين النور والعمتمة . ولما وجد لدينا  
 لا مفهوم النور ولا لفظه . . . » - « من الواضح ان كل شيء نسبي  
 فوق هذه الارض وليس له من وجود مستقل الا بقدر ما تسمح له  
 علاقته بالاشياء الاخرى بالاقتراب منها او بالتميز عنها . . . » -  
 « ما دام المفروض في كل مفهوم ان يكون الشئيق التوام نقيضه .  
 فكيف يمكن تعقله لاول مرة بالفكر ، وكيف يمكن نقله الى الآخرين  
 الذين يحاولون بدورهم ان يتعقلوه بالفكر . ان لم يكن بقياسه الى  
 نقيضه . . . » - « ما دام مفهوم القوة غير قابل للتصور خارج اطار  
 طباقه مع الضعف . فان الكلمة التي كانت تعبر عن **القوي** اكتسبت  
 في الذاكرة معنى **الضعيف** ايضا . على اعتبار ان هذا المفهوم  
 الاخير هو الذي اتاح لها في البداية امكانية الوجود . وفي اواقع  
 ما كانت هذه الكلمة تشير لا الى القوي ولا الى الضعيف حقا .  
 اما فقط الى العلاقة بينهما واني الفارق الذي خلغهما كليهما »  
 (ص 15) - « والحال ان الانسان ما استطاع اكتساب اقدم  
 تدرجاته الاساسية الا بفعل التناقض بين الضد وضده : ثم  
 رويدا رويدا بعد ذلك تعلم ان يتصل بين لفظي الطباق . وان  
 يتعمل كل واحد منهما بالفكر من دون ان يقبسه عن عمد بالآخر .  
 وما دام الكلام لا يفيد فقط في صوغ الفكر الفردي . بل  
 اساسا وجوهرا في ايصاله الى الغير . فمن انجاز لنا ان نتساءل  
 عن الوسيلة التي كان « المصري البدائي » يلجأ اليها لابلاغ نداءه  
 بـ « الجزء الذي يقصده في كل مرة من هذا المفهوم المزيج » لا لقد  
 كان ذلك يتم في الكتابة بواسطة ما يسمى بالصورة « المعينة » . اي  
 الصور التي كانت ترسم خلف الحروف المكتوبة لتشير اليها  
 معناها من دون ان يكون مطلوبا النطق بها هي نفسها . « حين  
 تعني كلمة كين المصرية **قويا** ، ترسم خلف الصوت الذي تعبر عنه  
 الحروف المكتوبة صورة رجل واقف مسلح ؛ وعندما تعني هذه  
 الكلمة عينها **ضعيفا** ، ترسم خلف الحروف المثلثة للصوت صورة

رجل جالس متمب . ومعظم الكلمات الأخرى ذات المعنيين ترتفع  
على نحو مماثل بحسب التفسيرية . اس ١٧ . وبحسب ما يذهب  
إليه آسن . كانت الحركة المصاحبة للكلمة المنطوقة هي التي تعطينا  
معناها المراد في اللغة المنطوقة .

أ) **الجدور الأكثر بدائية** هي الجدور التي تلحظ فيها . على  
ما بيننا آسن . ظاهرة المعنى الطباقى المزدوج . أما في مجرى  
تطور اللغة اللاحق . فإن هذا المعنى المزدوج يتلاشى ويضمحل ؛  
ويوسعنا أن نتبع . في اللغة المصرية القديمة على أي حال . جميع  
الدرجات الانقلاية من المعنى الطباقى المزدوج القديم إلى المذلول  
الواحد الذي للكلمات في لغتنا الحديثة . فالكلمات المزدوجة  
المعنى في الأصل تنفصل في اللغة اللاحقة إلى كلمتين تكل منهما  
مذلول واحد . وبطرا على كلا المعنيين المتناقضين تفتيخ التعديل  
صوتي بطل الجذر الواحد . فكلمة **كين** اقوي ، ضعيفا . على  
سبيل المذر . انفصلت حتى في الكتابة البيروغرافية إلى **السى كين**  
اقوي ، وإلى **كان** اضعيف . «وبعبارة أخرى . أن المعاني التي ما  
امكن الإهداء إليها الإطباقيا تصير مع مرور الزمن ماؤفة لدى  
العقل البشري إلى حد يكفي لموفر وجود مستقل لكل واحد من  
الجزئين ولتأمين نطق متميز في الوقت نفسه لكل منهما» .

ويرى آسن أن هذه البرهنة - أسهنة الإجراء - بالنسبة إلى  
اللغة المصرية - على وجود طباق في المعاني البدائية . قابلة للتعميم  
أيضا على اللغات السامية والهندية - الأوروبية . ويرى أن  
نعرف إلى أي مدى يمكن أن يحدث ذلك في أمر لغوية أخرى ؛  
وآية ذلك أنه وإن يكن المعنى الطباقى قد فرض نفسه في بادئ  
الأمر . ولدى جميع العروق والأجناس . على البشر الذين أجروا  
عمليات تفكيرية . فليس من الضروري أن يكون قد جرى تعرفه أو  
المحافظة عليه في كل مكان» .

ويلاحظ آبل علاوة على ذلك ان الفيلسوف بين (4) Bain  
 قد صادر . استنادا الى اسس نظرية خاصة وعلى سبيل الضرورة  
 المنطقية . على هذا المعنى المزدوج للكلمات . وهذا من دون ان يطع .  
 على ما يبدو . على الوقائع . والمقطع المسار اليه **الانطساق** .  
 الكتاب ١ . الفصل ٥٤ . يبدأ على المدعى التالي : ان التصبية  
 الجوهرية لكل معرفة او فكر او وعي لا يمكن الا ان تعكس نفسها  
 في اللغة . واذا نظرنا الى كل ما نعرفه عنى انه تحول والتقل من  
 شيء آخر . فان كل تجربة لا بد ان يكون لها وجهان : فلما ان  
 يكون لكل اسم معنيين واما ان يكون لكل معنى اسمان .

وانوه ايضا بما ورد . في ملحق فون بسببان لأضداد المعاني  
**في اللغات المصرية والهندية - الأوروبية والعربية** . من امثلة  
 فمينة بان نستوقف انتباهنا وان م تكن من علماء اللغة : فكلمة  
 Altus باللاتينية تعني علوا وعميقا : وكلمة Sacer  
 معناها قدس وملعون : اي ان المعاني المتناقضة بقيت هنا كما هي  
 دونما تعديل حتى في طريقة النطق بها . اما التبدل الصوتي بهدف  
 فصل الاضداد فمن امثله : Clamare اي صرخ . و Clam  
 اي صامت وهادئ : و Siccus اي جاف . و Succus  
 اي عصير . وفي الالمانية - لا تزال كلمة Boden تشير حتى  
 ونا هذا الى اعلى ما في البيت كما الى ادنى ما فيه . ومقابل كلمة  
 Bos الالمانية اطالع هناك كلمة Bass (صالح) : وبتعويض  
 الكلمة الساكنوتية القديمة Bat (صالح) مع الكلمة الانكليزية  
 Bag اطالع : ومقابل كلمة To Lock (اغلق) في الانكليزية  
 هناك في الالمانية Lucke , Loch (افراخ . ثقب) . وفي الالمانية

٤ - الكسندر بن : فيسوف استثنائي ١٨١٨ - ١٩٠٣ . مؤلف علم

التربية و التلق . - - -

٥ - لانجليزية في التعريف . - - -

**Kleben** الصق . وفي الإنكليزية **To Cleav** شق ؛  
وفي الألمانية **Stumm** البكم . و **Stimme** صوت . الخ .  
وهكذا قد يكون في وسعنا ان نجد معنى حقيقيا للاشتقاق الذي  
ظلمنا اننا اسخرنا : **Lucus A Non Lucendo** .  
يلفت اصيل الإيجاد في كتابه **أصل اللغة** ، **Ursprung Der Sprache** .  
ص ٧٠٥ ، الى مخلفات اخرى ايضا من انماط الفكر المداني . فالانكليزي  
لا يزال يقول الى اليوم كما يعبر عن "دون" : **Without** .  
اي "مع - دون" : كما ان البروسي الشرقي يستخدم تعبير  
**Mitohne** . وحسب اللفظ **With** . الذي يغايته باللاتينية  
**Mit** (مع) . كان يدل في الاصل - ولا بد - على **مع و بدون**  
معا . كما نستطيع ان نبين ذلك من **Withdraw** (انسحب) .  
انسحب ، ومن **Withhold** (استبقى) . وهذا التطور عنه  
تلفاه في اللفظ الالمانى **Wider** افسد : و **Wieder**  
معا . مع .

وللغة المصرية خاصة اخرى بالغه الغريبة ، وازام علينا من  
جديد ان نقيم مقارنة بينها وبين عمل الحلم . "ففي المصرية  
يمكن ان تتعرض الكلمات - لنقل ظاهريا في بادئ الامر - لانقلاب  
في **ميناها** كما في **معناها** . نفترض ان الكلمة الالمانية **Gut**  
(صالح) هي كلمة مصرية . فعندئذ يمكن ان نعني "طالح" بالاضافة  
الى "صالح" . كذلك فان **Gut** يمكن ان تلفظ **Tug** .  
وهذا القلب . الاكثر تواترا من ان يمكن عزوه الى الانفساق  
بالمصادفة . يمكن التمثيل عنه ايضا بأمثلة كثيرة مستفاد من  
اللغات الآرية والسامية . وان اقتصرنا كيدانة على التعابير  
الجرمانية نجد ان لدينا : **Boat - Tub** و **Top - Pot**  
و **Wait - Tauwen** و **Hurry - Ruhe** و **Care - Reck**  
و **Club** و **Balken - Klobe** . وان احتمكنا الى اللغات الهندية -  
الاوروسية الاخرى . وجدنا عدد حالات القلب - سواء جزوا مع عدد  
التعابير موضوع النظر . منها على سبيل المثال : **Capere - Paken**

the leaf (Blatt) - Folium ren - Niere (أورقصة)  
- mēdh, mūdha. (باليونانية) dum - a , domos  
(بالروسية) Kur - iti (بالسنسكريتية) . Mut, rauchen .  
kreischen - to shriek , الخ .

يسمى أبيل الى تفسير ظاهرة القلب الصوني للالفاظ بتضعف  
الجذر وتشديده . وقد يشق علينا ان نجاري هنا فيه اللغة .  
وسندكر بهجة الاولاد حين يلعبون بقلب الكلمات سويًا . ولجوء  
عمل الحلم تواترا الى قلب المادة الفكرية لغايات شتى . لكن  
ليس ترتيب الحروف هو ما يقلب في هذه الحال . بل ترتيب  
الصور . اذن فنحن أميل الى عزو قلب الاصوات الى عامل يفعل  
فعله على مستوى اعمق (٦) .

ان التوافق بين خصائص عمل الحلم التي اسرنا اليها فسي  
مستهل هذا المقال وبين خصائص العرف الالمني التي اكشفنا  
فيه اللغة في اقدم اللغات . يبدو لنا بمثابة تأكيد للتصور الذي  
كونناه لانفسنا عن التعبير عن الفكر في الحلم . وهو تصور مؤداه  
ان لهذا التعبير طابعا تكوصيا سحق القدم . وهنا لا نستطيع ان  
نرد عنا . نحن الاطباء النفسانيين . فكرة مؤداها اننا سنكون أقدر  
على فهم لغة الحلم وعلى ترجمتها فيما لو كنا اكثر اطلاعا على  
تطور اللغة (٧) .

---

٦ - حول ظاهرة الابدان في اللغة . وهي ظاهرة قد تكون أوسع من  
من المعنى النفسي الطيبان . بعض الحاد . (أربوا) احسا مع ف. مار - رشان  
W. Meyer - Rintel في الصحيفة الكولونية (Kolnische Zeitung)

تاريخ ٧ اذار ١٩٠٩ .

٧ - من الطبيعي الافتراض بأن المعنى الاصلى الطيباني للخدمات بمن الاوانيه  
السيقة التكون التي سخدمها فئة النسا في حدمه ميول منى : فعوام هذه  
العلنة ان يقول الانسان عكس ما كان يريد قوله .



## صعوبة أمام التحليل النفسي (١)

سأبدأ بالتحديد بأنني لا أزمع ان انكلم عن صعوبة فكرية ، عن شيء يجعل التحليل النفسي عصيا على فهم من يتوجه اليه السامع كما ان قارئاً . بل عن صعوبة وجدانية ، عن شيء يجعل التحليل النفسي يخسر تعاطف السامع او القارئ ويضعف من ميلهما الى ايلائه اهتماما وتصديقا . ويسير علينا ان نتبين ان هاتين الصعوبتين تتمخضان عن نتيجة واحدة . فمن لا يشعر بقدر كاف من التعاطف ازاء شيء ما ، يعجز ايضا عن فهمه بيسر . مراعاةً مني للقارئ ، الذي انصorde من غير اهل الاختصاص . اراني مضطرا الى رواية القصة من اولها . ففي التحليل النفسي:

---

١ - ظهر هذا المقال لأول مرة باللغة في مجلة Nyugat التي كان صدرها د. اغنوتون في بودابست (١٩١٧) ، ثم باللاتينية في مجلة ايمانو . المجلد ٥ ، ١٩١٧ . -م-

وبعد عدد كبير من الملاحظات والانطباعات الانفرادية ، تكون في خاتمة المطاف ضرب من نظرية ، يعرف باسم «نظرية الليبدو» . فالتحليل النفسي يسمى . كما هو معروف . الى فهم الاضطرابات المسماة بالاضطرابات العصبية والى شفائها . وقد كان مسن الضروري . للتصدي لهذه المشكلة ، العثور على نقطة يمكن التصدي لها منها . فقررّ القرار بلى البحث عنها في الحياة الفريزية للنفس . وهكذا اوضحت جملة من الفرضيات التي تتعلق بحياة الانسان الفريزية هي الاساس الذي قام عليه تصورنا عن الحالة العصبية .

ان علم النفس . كما يدرس في مدارسنا ، لا يعطينا ، عندما نستنطقه حول مشكلات الحياة النفسية ، سوى اجوبة غير مقنعة . ولكن ما من ميدان يكتنف فيه الشك المعلومات التي يزودنا بها هذا العلم كميدان الفرائز .

وعلىنا نحن تقع مهمة الاهتداء الى اول الطريق . ان التصور الشعبي يخص بالتمييز الجوع والحب ويرى فيهما ممثلين للفرائز التي تنزع من جهة اولى الى بقاء الفرد ، ومن الجهة الثانية الى تناسله . ونحن اذ نأخذ بدورنا بهذا التمييز الذي يبدو طبيعيا تماما ، نفصل على صعيد التحليل النفسي غرائز البقاء ، او غرائز الانا . عن الفرائز الجنسية ، ونطلق على القوة التي تتظاهر بها الفريزة الجنسية في الحياة النفسية اسم **الليبيدو** (٢) . اي الرغبة الجنسية . ونرى فيها شيئا يضارع الجوع واردة القوة ، الخ . في عداد غرائز الانا .

وانطلاقا من هذا الفرض نحقق في هذا المضمار اول كشف

٢ - الليبدو : كلمة لاسبه الاسن Libido . ومعنى اربعة والشهوة والشهية والدمع والرزوة والهوى والحاجة الطبيعية . الخ . -م-

هام لنا . فنحن نكتشف انه بحاجة . كيما نفيه الامسراض العصبية . الى ان نعزو المدلول الهم - الهم بكثير - الى الغرائز الجنسية . وان الاعصبة هي . ان جاز التعبير . الامراض اتوعيه للوظيفة الجنسية . ونكتشف ايضا ان اصابة الفرد او عدم اصابته بمرض عصابي رهن بكمية اللييدو وبامكانه تلبية هذا الاخير وتفرغه من شحنته باشباعه . ونفهم ان شكل مرضه يتحدد بالكيفية التي انجز بها الفرد تطور وظيفته الجنسية . او . كما نقول . بالثبتيات التي عاناها اللييدو عنده في اثناء هذا التطور . والتقنية التي بحوزتنا . وهي ليست من اسط الثقيبات ، تمكننا من ممارسة تاير نفسي على المريض . ونيح لنا في ان واحد ان نفهم وان نرد العديد من سرور الاعصبة اتي اصلها . ومجهودنا العلاجي يخالفه اكبر نصيب من النجاح حيال فئة معينة من الاعصبة : تلك التي تنشأ عن الصراع بين غرائز الانا والغرائز الجنسية . اذ لا يندر ان يبدو مطالب الغرائز الجنسية . التي تتجاوز بكثير نطاق الفردية . للانسان وكتنها خطر يهدد بفساد بالذات او تقديره - الموجب عليه - لئانا . وعندئذ يبادر الانسا اتي اتخاذ موقف دفاعي . ويمنع عن الغرائز الجنسية الاشباع الذي تنوق اليه . ويجبرها على سؤوك طرق مواربه للحصول على إشباع بديل يتظاهر في شكل اعراض عصبية .

عندئذ يوصل العلاج التحليلي النفسي اتي اعاده النظر في سيروره الكبت ، رالي بوجبه ذلك اسراع اتي نازل افضل وانسب للصحة . وهنا ينحي علينا اخصام غير متفهمين باللائمة . منهبين ابانا بالتمزعة الحميرية وبانغلاقه تي تفديرونا لائمية الغرائز الجنسية : فللإنسان بلا ريب اهمامات اخرى غير الاهتمامات الجنسية ! وهذا في الحق ما لم نسه او نكره لحظة واحدة . ووجبة نظرنا الحصرية اشبه ما تكون بوجبة نظر الكيمياوي الذي يرد جمع مكونات المادة الى قوة الجذب الكيمياوي . وهو بذلك

لا يعاري في الثقالة . بل يشرك للفيزيائي امر تقديرها .  
لزام علينا . في اثناء عملنا العلاجي . ان نولي توزيع الليبيدو  
لدى المريض اهتمامنا . لذا سعى الى كشف السمثلات الموضوعانية  
**Objectales** التي نشبت عليها طاقته البييدية . ونحور  
هذه السمثلات لتضمها تحت تصرف الانا . وهكذا انتهينا الى تكوين  
تصور متميز عن التوزيع البدائي لليبيدو لدى الانسان . فقد  
وجدنا انفسنا مرغمين على الافتراض بان كل ليبيدو اكل ميل  
ايروسي . كل طاقة حية) ينشبت في بدء نمو الفرد على الذات  
ويتركز . كما اسلفنا . على الانا الذاتي . وفي زمن لاحق فحسب .  
وبالارتكاز الى اشباع الحاجات الحيوية الكبرى . يطفح الليبيدو  
من الانا على المواضيع الخرجية . مما يتيح لنا ان نتعرف الفرائز  
الليبيدوية بما هي تذك وان نميزها عن غرائز الانا . ويمكن  
عندئذ فصل الليبيدو من جديد عن هذه المواضيع وإرجاعه  
الى الانا .

وعلى الحالة التي يحتجز فيها الانا الليبيدو نطلق اسم  
**الترجسية** . تذكرة بالاسطورة الاغريقية عن نرجس الفتى . المغموم  
بصورة نفسه المنعكسة فوق صفحة الماء .

وبذلك نمزو الى الفرد الفدره على التقدم بتحوئه عن الترجسية  
الى الحب الموضوعاني . لكننا لا نعتقد انه من الممكن ان ينصب كل  
الليبيدو على المواضيع . بل يبقى على الدوام في الانا مقدار ما  
من الليبيدو . وتظل هناك درجة ما من الترجسية رغم وجود حب  
غيري نام ومطور جدا . فالانسان خزان كبيره ينسفع خارجه الليبيدو  
المخصص للمواضيع . وإليه يرتد من جديد . وبما ان الليبيدو  
الموضوعاني كان في الاصل ليبيدو الانا . فمن الممكن ان يتحول من  
جديد الى ليبيدو انوي . ومن الضروري امام سحة الفرد الا يفقد  
ليبيدوه حركيته الكاملة . والتمثيل على هذه العلاقة حسييا .  
لتصوير المموردة **Amibe** التي تصدر مادتها الجامدة والمائعة

شوى كاذبة Pseudopodes - اي استطلاات تنتشر فيها المادة الحية - والتي تملك المقدرة في كل آن وحين على ارجاعها الى ذاتها ، بحيث يعود شكل النواة الهيولية الصغيرة كما كسان من الاول .

ان ما سميت الى وصفه بما تقدم هو نظرية الليبدو فسي الاعصبة ، هذه النظرية التي على اساسها يقوم فهمنا لطبيعة هذه الحالات المرضية ويتم تدخلنا العلاجي فيما يتعلق بها . وغني عن البيان اننا نعتبر مفترضات نظرية الليبدو هذه قابلة للتطبيق ايضا على السلوك السوي . افلا نتكلم عن نرجسية الولد الصغير ؟ اولا نغزو الى نرجسية الانسان البدائي الراجحة ايمانه بكلية قدرة افكاره ، وبالتالي تصوره بأنه مستطيع ، بواسطة السحر . ان يؤثر على احدث العالم الخارجي ؟

بعد الانتهاء من هذا التمهيد . بودي ان اعرض كيف ان نرجسية البشرية . عزة نفسها بوجه عام ، قد تعرضت حتى الان ، وبفعل التحري العلمي ، الى ثلاثة إذلالات خطيرة .

1 - في مسنهل هذا التحري اعتقد الانسان في بادىء الامر ان الارض ، التي توفر له المأوى ، تقف ساكنة وسط الكون ؛ بينما الشمس والقمر والكواكب تتحرك في مدارات دائرية حولها . وبذلك يكون قد صدق بسذاجة حواسه . لان الانسان لا يحس البتة بحركة الارض ؛ وحيثما امكن له ان يجيل نظره بحرية . وجد نفسه في مركز دائرة تحوي العالم الخارجي . وكان الوضع المركزي للارض ضمانا له على كل حال على دورها الراجع فسي انكون بالتآزر مع ميله الى الشعور بينه وبين نفسه بأنه سيد هذا العالم .

ان تقوّض هذا الوهم النرجسي يرتبط بمنذنا باسم نيقولا كوبرنيكوس وعمله في القرن السادس عشر . وقد كان ساور الفيثاغوريين قبله بحقبة مديدة شك حول هذا الوضع التميز

للارض ، فاعلن ارستارخوس الساموسي (٢) منذ القرن الثالث ق.م ان الارض اصغر من الشمس وانها تدور ولا بد حول هذا النجم . اذن فحتى اكتشاف كوبرنيكوس كان قد تم قبله . ولكنه حين حظي بالقبول العام منيت الكبرياء البشرية بإذلائها الاول ، الإذلال الفلكي .

ب - لقد ارتقى الانسان ، في مجرى تطوره الحضاري ، الى دور السيد على اقرانه من الجنس الحيواني . ولكنه لم يكتف بهذه السيادة ، بل طفق يحفر هوة بينهم وبينه . فانكر عليهم العقل ، وحبا نفسه بروح لا تفنى ، وتباهى بنسب إلهي سمح له بتمزيق كل رابطة تضامن مع العالم الحيواني . وهذا الصلف - وهذا مشر للفضول - يبقى مجهولا من الولد الصغير كما من الانسان البدائي . فهو نتيجة تطور لاحق ، ذي مطامح اوسع . فالانسان البدائي ، في طور الطوطمية ، ما كان يتحرج البتة من نسب عشيرته الى سلف حيواني . والاسطورة ، التي تحتوي عصارة هذا النهج القديم في التفكير ، تلبس الالهة اجسام حيوانات ، كما يصور فن الازمنة البدائية الالهة برؤوس حيوانية . ولا يشعر الطفل بأي فارق بين كينونته وكينونة الحيوان ؛ ولا يدهشه البتة ان تحدثه الحكايا عن حيوانات مفكرة وناطقة ؛ ويعزو الى الكلب او الحصان شحنة الخوف الذي يبعثه والده في وجدانه ، من دون ان تساوره في ذلك اية نية للانتقاص من قدر ابيه . وانما بعد ان

---

٢ - ارستارخوس الساموسي : عالم فلك اعريقي نحو ٢٢٠ - ٢٥٠ ق.م ، من اتباع فيثاغورس ، اظهر له قياساته الهندسية للمسافات بين الارض والشمس والقمر بطلان نظرية ارسطو القائلة بان الارض هي مركز الكون ، وافضت به هذه القياسات الى المناداة بنظرية تعد الشمس مركز الكون ، ولكن مذهبه لم يلق قبولا في العصور القديمة وظل منسيا حتى ايام كوبرنيكوس . -م-

يشب عن الطوق ، ينأى عن الحيوان وبصير يشتم الانسان باطلاق  
اسماء حيوانية عليه .

انا نعلم جميعا ان مباحث تشارلز داروين ومعاونيه وسابقيه  
قد وضعت حدا لادعاء الانسان هذا منذ نحو نصف قرن مسن  
الزمن . فما الانسان بغير الحيوان ، ولا بأفضل منه ، بل انه  
متحدر هو نفسه من السلسلة الحيوانية ، وصلات قرياه ببعض  
الانواع قريبة ، وبغيرها بعيدة . وفتوحاته الخارجية لم تتوصل  
الى محو علامات هذا التكافؤ التي تتجلى ان في بنية جسمه وان  
في استعداداته النفسية . وذلك هو الإذلال الثاني للترجيبة  
البشرية : **الإذلال البيولوجي** .

ج - غير ان الإذلال الثالث ، وهو من طبيعة سيكولوجية ،  
اشد هذه الإذلالات وقعا وتأثيرا فيه .

فهما تنحط مرتبة الانسان خارجيا ، يظل يشعر بأنه سيد  
نفسه في ذات نفسه . وقد تكون في مكان ما ، في قلب أناد .  
جهاز مراقبة وظيفته ان يتحقق مما اذا كانت انفعالات المسرء  
وأعماله تتفق ومطالب الانا . فان لم تتفق وإياها ، لجمها بلا  
شفقة وردعها . ويقوم الإدراك الداخلي ، الشعور ، بتبليغ الانا  
بجميع السيرورات الهامة التي تجري في الجهاز النفسي ، وتقوم  
الإرادة ، على ضوء هذه المعلومات ، بتنفيذ ما يأمر به الانا ،  
مصححة ما كان يود لو يتحقق بكيفية مستقلة . وآية ذلك ان هذه  
النفس ليست بالبيطة ، وانما هي بالاحرى تراتب من هيئات  
عليا ودنيا ، تشابك من حفزات تسمى الى تحقيق ذاتها  
باستقلال عن بعضها بعضا ، وتتناظر مع العدد الكبير من الفرائز  
ومن العلاقات بالعالم الخارجي ، على ما بين الكثير منها من تناقض  
وتناف . ومن الضروري للوظيفة النفسية ان تطلع الهيئة العليا  
على كل ما يجري الاعداد له ، وان تنفذ ارادتها الى كل مكان كما  
تمارس فيه تأثيرها . وبذلك يشعر الانا بأنه يستطيع الاطمئنان

سواء إلى تمام المعلومات التي يتلقاها ونزاهتها ام الى تنفيذ الاوامر التي يصدرها .

لكن على غير هذا المتوال تجري الامور في بعض الامراض ، وبالتحديد في الاعصبة التي تصدنا لدراستها . فالانا يشعر بالتضايق ، ويكاد يصل الى حدود قوته في داخل بيته ، النفس . فاذا بأفكار تنجس فيه من دون ان يعرف لها مصدرا ؛ ويفقد القدرة على طردها عنه . بل يبدو ان هؤلاء الضيوف الغريباء اقوى حتى من اولئك الذين القوا عصا الطاعة للانا ؛ فهم يقاومون جميع قوى الارادة التي كانت قد اثبتت فعاليتها ، ولا يدون تأثرا بالتنفيذ المنطقي ، ولا يؤثر فيهم اثبات الواقع المنافي . او قد تظهر إجباريات تبدو وكأنها صادرة عن شخص اجنبي ، فيتكرها الانا ، بيد انه يخافها ويخشها مع ذلك ، فيضطر الى اتخاذ تدابير احتياطية ضدها . ويقول الانا بينه وبين نفسه ان ذلك مرض ، غزو اجنبي ، فيضعف من يقظته ، لكنه لا يستطيع ان يفهم لماذا يساوره مثل هذا الشعور العجيب بالعجز .

صحيح ان الطب العقلي ينكر ان تكون هذه الظاهرات من فعل ارواح شريرة خارجية اقتحمت الحياة النفسية ، لكنه يكتفي بعد هذا الانكار بالقول وهو يهز كتفيه : انحطاط ، استعسداد وراثي ، نقص تكويني ! وبالمقابل يأخذ التحليل النفسي على عاتقه فك لفز هذه الحالات المرضية المقلقة . وينظم ابحاثا طويلة ومدققة ، ويصوغ مفاهيم بديلة وأنشاءات علمية ، ويستطيع في خاتمة المطاف ان يقول للانا : «لا شيء غريب قد دلف اليك ، وانما هو جانب من حياتك النفسية الخاصة اقلت من معرفتك ومن سلطان ارادتك . ولهذا السبب اصلا تجد نفسك في منتهى الضعف في دفاعك ؛ فانت تصارع بشطر من قوتك ضد الشطر الآخر ، ولا يسعك استجماع قوتك كلها كما تفعل فيما لو كنت تواجه عدوا خارجيا . وليس اسوا شطر من قواك النفسية ولا



اتفه هو ما ينتصب في وجهك ويستقل عنك على هذا النحو .  
والخطأ ، ينبغي ان اقول ذلك ، خطأك . فلقد بالغت في تقدير  
قوتك حين خيل اليك انه بمستطاعك التصرف على هواك بغرائزك  
الجنسية وانك لست مضطرا الى ان تقيم اي اعتبار لصواتها  
وتطلعاتها . عندئذ تمردت عليك وسلكت طرقها السرية الخاصة  
لتنجو بنفسها من القمع ، واخذت حقها على نحو لا يمكن ان  
يرضيك . وانت لا تعرف كيف تدبرت امرها ، واية طسرق  
اختارت ؛ وحدها نتيجة هذا العمل ، اي العرض الذي يتظاهر  
بالالم الذي ينتابك ، وصلت الى علمك . ولهذا انت لا تعترف بهذا  
العرض فسيلة من غرائزك المكبوحة ، وتجهل انه اشباع بديل لها .  
«غير ان كل هذه السيورة ليست ممكنة الا بشرط واحد : ان  
تكون على ضلال من امرك ايضا بصدد نقطة هامة اخرى . فانت  
تعتقد انك تعرف كل ما يجري في نفسك ، شريطة ان يكون على  
درجة ما من الاهمية ، لان وعيك قمين بان يعلمك به . وعندما  
تنقطع عنك اخبار ما يجري في نفسك ، تسلم بطمانية تامة بانه  
لا يجري فيها شيء . بل لن تحجم عن اعتبار «النفسي» مطابقا  
لـ «الواعي» . اي للمعروف من قبلك ، وهذا بالرغم من دامغ الادلة  
على انه تجري في حياتك النفسية باستمرار اشياء اكثر بكثير مما  
يمكن ان يتكشف لوعيك . اذن دعنا نزدك علما حول هذه النقطة !  
«ان النفسي لا يتطابق فيك مع الواعي : فان يجري شيء ما  
في نفسك وان يأتيك فضلا عن ذلك علمه ، فما ذلك بشيء  
واحد . صحيح ان جهاز الاستعلام الموضوع في تصرف وعيك  
يمكن ان يفي عادة بحاجاتك . ويسير عليك بالتالي ان توهم نفسك  
بانك تعرف كل ما له قدر من الاهمية . ولكنه في العديد من  
الحالات يخذلك ، وعلى سبيل المثال في حال نشوب واحد من تلك  
الصراعات الفريزية ، وعندئذ لا تذهب ارادتك الى ابعد من حد  
معرفتك . غير ان معلومات وعيك تلك هي على كل حال ناقصة ،

وفي كثير من الاحيان غير ماثوقة ؛ وفي احيان اكثر قد لا ياتيكم علم الاحداث الا بعد حدوثها وبعد ان يسقط الامر في يدك ازاءها . ومن يستطيع ، حتى عندما لا تكون مريضا ، ان يتكهن بكل ما يدور في نفسك مما ليس لك به علم او مما ياتيكم عنه كاذب العلم ؟ انك لتتصرف كماهل مطلق يكتفي بالمعلومات التي يزوده بها كبار اهل البلاط ولا ينزل الى الشعب لسمع صوته . الا عد الى نفسك وتعمق فيها ، وتعلم اولاً ان تعرف نفسك ، فعندئذ ستفهم لماذا ستقع مريضا ، ولعلك ستتحاشى ان تصبح كذلك فعلاً .

هذا هو الخطاب الذي يود التحليل النفسي توجيهه الى الاناء . بيد ان الاضافتين اللتين يضيفهما الى علمنا، والممثلتين في ان الحياة الغريزية الجنسية غير قابلة للترويض الكامل في داخل انفسنا وفي ان السيرورات النفسية هي بحد ذاتها لاواعية ولا تغدو في متناول الانا وفي امرته الا عن طريق ادراك غير كامل وغير اكيد ، تعادلان التوكيد بأن **الانا ليس السيد في بيته** . وهما تشكلان الإذلال الثالث للكبرياء البشرية ، وهو إذلال سأنتمسه **بالسيكولوجي** . فهل من عجب في هذه الحال ان ضمنّ الانا بمطغه على التحليل النفسي وأبى بعناد تصديق مدعاه ؟

ولعلمهم قلائل من يدركون الامر على حقيقته : فالتليم بفرضية السيرورات النفسية اللاواعية خطوة تترتب عليها نتائج بالغة الاهمية بالنسبة الى العلم كما الى الحياة العملية . لكن لنسارع الى القول بأن التحليل النفسي ليس هو اول من خطا هذه الخطوة . فقد سبقه على هذا الطريق فلاسفة مشاهير ، ونستطيع ان نسمي منهم في المقام الاول المفكر الكبير شوبنهاور الذي تعادل «الارادة» اللاواعية التي قال بها الفرائز النفسية التي قال بها التحليل النفسي . وهذا المفكر هو عينه الذي ذكر البشر على كل حال ، وبكلمات لا ينتسى عنفوانها ، بأهمية صبواتهم الجنسية الموهون من شأنها على الدوام . والفضل الوحيد للتحليل النفسي انه لم

يقدم على طبق من التجريد هاتين الاطروحتين ، الشاق احتمالهما على الترجسية : اطروحة الاهمية النفسية للجنسية Sexualité ، واطروحة لاشعورية الحياة النفسية . بل هو يسوق الدليل عليهما بواسطة مادة تعني كل انسان على حدة ، وترغم كل واحد على اتخاذ موقف من هاتين المشكلتين . ولكن لهذا على وجه التحديد يجرّ على نفسه العداء والمقاومة البشرية اللذين ما كانا لهما الا ان يتراجعا جافلين امام الاسم الكبسير للفيلسوف .

# فهرست

- ٥ - عصاب شيطاني من القرن السابع عشر  
٤٨ - الافعال التسلطية والشعائر الدينية  
٦٠ - موازيات ميتولوجية لتمثل وسواسي تشكيلي  
٦٤ - حادث من الحياة الدينية  
٥ - التحليل النفسي واثبات الوقائع في المضمير القضائي  
٦٩ بمنهج تشخيصي  
٨٤ - طباق المعاني في الالفاظ البدائية  
٩٣ - صعوبة امام التحليل النفسي